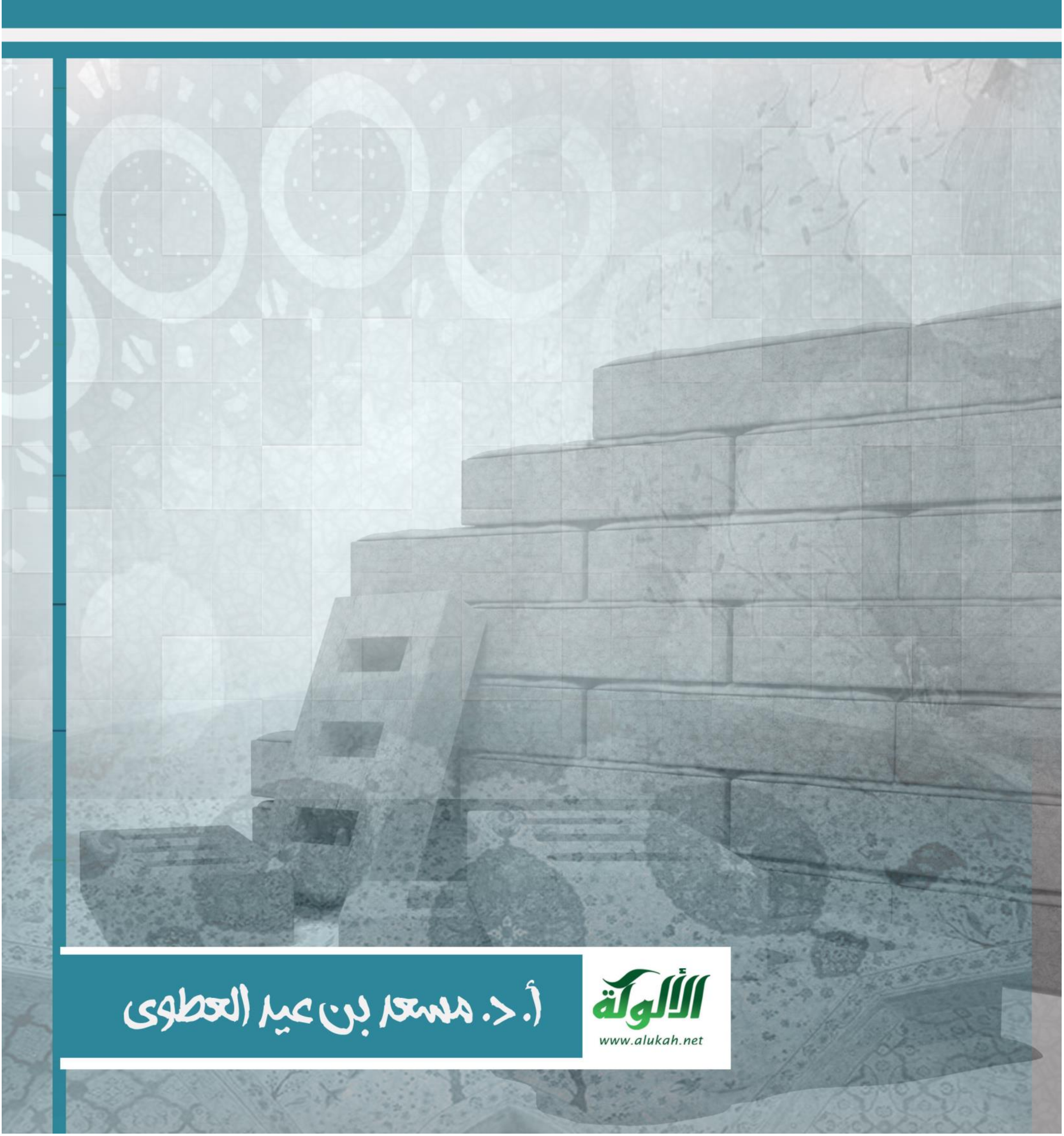
بناء
الفكر التربوي



أ.د. مسعد بن عيد العطوي

الألوكة
www.alukah.net

بنـــاء
الفكـــــر التربـــــوي

تأليف

أ. د. مسعد بن عيد العطوي

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م






محفوظة
جميع الحقوق





المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان ليستعمر الأرض، وجعل أفضل صفاته الإيمان والعمل الصالح الذي يشمل سائر إنجازه اليومي، فجعل العبادة جُلَّ العمل إذا أريد به وجه الله، فعمل الإنسان قائم في كل الأحوال، ولا يقتصر العمل الصالح على ممارسة العابدين، وهي فضيلة، والأفضل منها ممارسة العبادة والعمل اقتداءً بالرسول – ﷺ – وصحبه الكرام.

لقد واكبتُ الأجيال العملية التي توافدت على العمل من كل حدب وصوب من أبناء الجزيرة العربية من داخل الوطن، ومن أبناء الدول المجاورة كاليمن وعُمان، وكلٌّ يسعى جاهداً ليلتحق بأي عمل يدوي، أو مهني، أو عسكري ابتداء من الحِرَف والورش والخدمات النظافية إلى عمل تنزيل الأثقال والأحمال وأعمال البناء، والمواد الصحية والكهربائية، وكانت مرحلة لم نسمع بها بأي عمل معيب، حتى من أبناء القبائل، فالكل في حركة دائبة، وارتبط العمل بالعلم، فالعمل الصباحي مع التعلم المسائي، إنها أمة تبني، وقد فعلت، ثم جاءت مرحلة الطفرة واختفت مرحلة التربية العملية المنزلية والأسرية، وانفرد طلب العلم بالاهتمام، ولم يرتبط بالعمل، ومن هنا فقدنا التربية العملية بشقّيْها الأسري والمدرسي، مما كوّن عندنا البطالة المقنعة أولاً، وهي مرض المجتمع السعودي، بل هي مرض المجتمعات العربية والإسلامية، فهل نقارن الآن العامل الإسلامي بالعامل الأجنبي الأوربي، أو العامل من الدول التي اعتمدت على روح العمل؟ فنحن لا نستطيع أن نفاخر بانجازنا ولا بإبداعنا، بل نفاخر ببطالتنا إن كان يفاخر بها، فجاءت البطالة، وهي أشبه بالبطالة المقنعة، وتكوينها نتيجة التربية الأسرية والمدرسية وعدم التدريب العملي منذ الصغر، وإلا كيف تكون بطالة وعندنا ما يقرب من ثمانية ملايين عامل، كلهم يجني أفضل مما يجني أستاذ الجامعة؟

والمتأمل في حياتنا العملية المعاصرة يصاب بخيبة، فإذا استشرف المجتمع فإنه يخشى على أمته من عملية التهاون والتكاسل وعدم المبالاة، وبناء فرد مستهلك لا منجز، وهذه من أسباب تردي الأمم وضعفها، وتفتح الباب لتسطو الأمم على مقدراتها إن لم تتجاوز ذلك إلى أوطانها، وذوبان شعوبها، أو تبعيتها.

إننا أمة تمتلك مقومات الحياة العقدية، والفكرية، والتراثية، والمادية، وهي كفيلة ببناء أمة المستقبل وفرد المستقبل الذي يعطي أكثر مما يستهلك، ويأخذ.

ومن هذه النظرة كانت معاناة التهاون، وعدم المبالاة، والبطالة المقنعة، وغياب العزيمة والهمة التي كانت هاجسي الفكري لنبني مجتمعي؛ فعنها أكتب، وعنها أخاطب طلابي، وبها أتحدث في مجالسي الخاصة





ومنتدياتي العامة، وهذا الكتاب هو: مقالات وأبحاث في الفكر التربوي، كتبتها قديماً تدور حول التربية العملية لبناء أجيال قادمة تنهض بالأمة، وتنافس الشعوب الأخرى، وأنا الآن أسعد بتقديمها، لعل الله يفيد بها.

وقد ضممتها إلى بعض، وأصدرتها بلا تغيير، على رغم أن فيها تكراراً في بعض الأحكام، لكن التكرار يفيد كثيراً ليغرس الأمنيات.





الاستراتيجية
الاجتماعية للتربية العملية



العقل وصناعة الأنماط الفكرية

يولد الإنسان ولا وعي عنده إلا ما كان غريزياً يشترك مع سائر الحيوانات الفطرية، لكن الله خص الإنسان بالعقل؛ ذلك السجل غير المسطور في مرحلة الطفولة الأولى. والعقل يمثل الوعاء الشامل للوعي، بل إ ن هذا الوعاء صفحة بيضاء كرؤيتنا للسماء الزرقاء في رابعة النهار، وهذا العقل ذو الحجم الصغير في رؤيته البصرية تتسع آفاقه عند تأملنا الفكري لأبعاده، ونجد أن المفارقة الكونية بين عقل الإنسان مقارنة بالسماء التي تطوى كطي السجل يوم القيامة، وهي تذهل البشرية كما أذهلتها من قبل بمكوناتها النجومية، ومداراتها الكوكبية، ومجراتها العلوية ذلك ما اكتشف الإنسان (وما خفي أعظم) تلك نظرة علوية، فإذا ماعدنا بفكرنا لذواتنا ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ الذاريات: ٢١، وعقدنا المقارنة بين فضاءات السماء وفضاءات العقل، فإن الفضاء العقلي منحه الله للبشر، فكأن البشر لم يتنبهوا له فلما تأملوه فإذا هو يوحي من الخوارق ما يذهل نجوم المعرفة والعلم، فهو صفحة مصقولة تستقبل المكونات الذهنية متعددة الروافد التي تحضر في العقل البشري معالم التفكير وأنماطه، فالأمطار تهطل على تلك الصفحة البيضاء من فوقه ومن أمامه ومن ورائه ومن يمينه ومن شماله، ومن حيث يدري، ومن حيث لا يدري استهلالا بوالديه، وبيئته، وامتداداً إلى المجتمع، والفضائيات، ومن جوانب التربية السلوكية، وغرس الحقائق المعرفية، واكتناز المخازن المعلوماتية، وما تحشده الحواس الخمس والحدس، وما لا ندركه حتى لو فطن الإنسان واشرأب لاستيعاب كل شئ، ولا يمثل هذا إلا أقل من عشرة في المئة من مساحة المخ. ومع هذه النسبة الضئيلة فإن الأمر عظيم، وأثر هذه المعلومات الذهنية كبير، فكلها تبادر لتتخذ مواطن استقرارية في صفحة العقل، وتتكون شرائح اجتماعية داخل منظومة البناء العقلي وتشكيله الأولي، فهذه المعلومات حين تلامس قيعان العقل تحفر لها أودية سحيقة، وتبني جبالاً راسخة، وتارة تلالاً، وشعاباً ومزارع موسمية وغابات كثيفة، ومراعي زائلة، فالمكونات الذهنية لتركيبة العقل يكون منها الراسخ، ومنها المتحرك؛ إنه حاسب يتفاعل ما في داخله، وتمتزج معلومته لتكون كياناً منفرداً بخلاف الحاسب الآلي الذي يعجز عن هذه الوظيفة.

فعملية البناء داخل العقل البشري أدركتها الأديان قبل غيرها، وأدركها الفلاسفة المفكرون والعلماء المصلحون، ولكن مع امتداد التاريخ الزمني، والتراكم المعرفي تشتد عملية المبادرة والمنافسة لغزو هذا الفضاء العقلي لعالم العقل البشري المعاصر ومعالم تكوينه واحتلال مواقع فيه. وخاصية هذا البناء العقلي لتكوين الذهنية البشرية بأبنية الاستقرار داخل التجمعات في وعي الفرد العقلي تبادر إليها الأمم، فكلما احتلت مساحة في العقل اتخذت مكانا عليا يؤدي إلى هيمنة في كيان المعمورة الأرضية، ولأنها أسهل وسائل الهيمنة كما يتجسم لنا اليوم، والدول المعاصرة أكثر وعياً بهذا، وهي محقة في ذلك لأن خاصية العقل ومكوناته الذهنية تتفاعل، وتكون بيئة داخل



التجويف العقلي، وتصنع أنماطاً توجه الفرد والأفراد إلى فكر أولئك الذين استطاعوا احتلاله أولاً؛ كما يقول (إدوارد دي بونو) (يُعتبر العقل نظاما مُصمما للأنماط، حيث يعمل نظام المعلومات في العقل على خلق أنماط يمكنه تمييزها) التفكير الإبداعي ص٣٢.

وتكون الأنماط خاضعة لماهية الموارد المعلوماتية المؤثرة في بناء أنماط الحياة لتلك العقلية؛ كأن تنغرس أنماط سلوكية تتلبس بغريزة من الغرائز، فيعلو شأنها، ويعظم أمرها، ويطفو تأثيرها على فرد دون غيرها من الغرائز، كأولئك الذين غلب عليهم تيار الوجد والوجدان الرومانسي من عشاق العرب، والتربادور في الغرب فقد استحوذ عليهم دون سائر الغرائز المكونات الذهنية الأخرى، وهناك من غلب عليهم تيار الرغبة الجامحة لبناء الاندفاع العقلي حتى أهملوا، و تهاوت قوة الغريزة الوجدانية كما يمثله كثير من العلماء كابن تيميه، سيد قطب، وأفواج من رجال الصوفية، وهناك من غلب عليه جانب الاندفاع في موجة القوة الجسدية والعظمة المعنوية كالفرسان العرب، وكذلك الصعاليك، وتختلف الأنماط باختلاف غزارة بناء المكونات داخل البنية العقلية.

وهناك أمطار معلوماتية تبني عقولا ذات منهجية قابلة لتحولات الأعاصير والرياح الجارفة، قادرة على التعامل معها في ثبات يحميها من الانحراف، ولا يمنعها من استبقاء البذور التي تحملها الرياح، أو الاستفادة من الأمطار التي تحملها التيارات والأعاصير. وهناك معلومات فجة تكوّن أنماطاً واهية تجعل الفرد يمور مع الأعاصير و التيارات؛ كما تمور أتربة الصحراء، أو نفوذ الربع الخالي، فهي متحركة لا يستقر لها قرار.

ولم يطرأ على العالم بأسره – حاضره وغابره — هطول أمطار فكرية، وعواصف سلوكية تحمل تلوثاً، وتوظف وسائل فاعلة كما حصل في زمننا هذا، ولديها القدرة على أن تحضر وتحوز مكاناً في صناعة التكوين لعناصر المفاهيم الذهنية، وقبل ذلك صياغة الأنماط الفكرية، بل تهز الأنماط وتعصف بها.

وعالم اليوم أشد تنافساً على احتلال مصادر تكوين الأنماط العقلية العالمية لكل أفراد الكون؛ أنهم يتسابقون، بل يتحاربون بوسائل الحروب الذهنية؛ لأنها أشد فتكا على احتلال مساحات داخل الوعاء العقلي الفردي والجمعي في المعمورة الأرضية، وكان من قبل يقتصر التوجيه على الذهنية الفردية داخل الأوطان.

إن اكتشاف المناطق الوعائية العقلية، واحتلال مكانة فيها قريب المقارنة بالتنافس حول اكتشاف الفضاء واحتلال مكانة فيه بل إنهم قادرون على توجيه الطاقة في الفضاء لصالح البناء البشري، أو لتدميره.

ثم أدركوا أن فضاء العقل أهم بكثير من الفضاء الخارجي، فصيروا الأخير وسيلة فعالة، ووظفوه لتوجيه العقل ليريحهم من الحروب الدموية، ويمتلكوا ذهنية العالم لتسخيرها لصالحهم، وليست للندية كما يزعمون، فهم قادرون على فرز الأفكار، وحجب النافع في ملكيتهم الذهنية. وهذه النظرة التأملية في تأسيس البناء العقلي تتواصل مع



التوجيه الإسلامي، فقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تلك الخاصية في حديثه الشريف حين أبان عن تأثير الفكر على العقل، وكونه يعمل فيه كعمل الغيث في الأرض الفضاء (إن مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا، وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به، فعلِم وعلمّ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) متفق عليه. رياض الصالحين ص١١٤.

إذن فإن عقول أبناء الأمة أمانة وطنية سامية، وأمانة اجتماعية، وأمانة أسرية وأمانة فردية مستمرة مدى الحياة الفردية والجماعية، تشاد لها الوزارات الدفاعية، والوزارات التربوية، وتبنى لها المناهج الفردية والاجتماعية، وترسخ القيم السلوكية التي تكون أنماطاً عقلية ذات قابلية للخير، قادرة على تمحيص التلوث وَجْليِ الضباب وحجبه، أو تمريره في وجه التيار حتى لا يستقر له قرار، وأي مهمة هذه؟ إنها أعظم وظيفة بشرية حملها الرسل والأنبياء والعلماء، فلم يحجبوا أنماط العقل عن استقبال الخير، بل دعاهم القرآن الكريم إلى التأمل الفكري، بل بواسطته غُيرت أنماط الفكر الجاهلي، وحُطمت أسواره، وبينت أنماط جديدة.

ولا ريب أن كثيراً من المفكرين الذين لم يستظلوا بظلال الفكر الرباني تاه بهم الفكر، وهم يحملون الراية لجموع بشرية تتدافع خلفهم. ونحن لما نقارن ثقافتنا الإسلامية الحقة النقية ذات المحجة البيضاء بغيرها نجدها تصنع عقولاً، وتبني وعياً يقوم على أنماط من الثوابت الربانية والتوقيفية فيقوم فكر حركي تأملي من أخص وظائفه زيادة الإيمان، ويزيد الوعي بوسائل بناء الحضارة، أو كلاهما النمط الثابت والنمط الحركي، يكمل أحدهما الآخر، ويتفاعل معه في ديمومة تجاذبيّه وتلاحمهما يصنع بيئة عقلية ونمطاً للاستقبال، ولما نقارنه بالنمط الغربي نجد الأخير عند الغرب يقوم على النمط الحركي، وله دوره في بناء الفكر العلمي، لكنه سريع الحركة مع التيارات الموجهة عالمياً خاضع للهوى، وما تمليه العواطف والغرائز، وهناك يتأتى دور العقل المتفحص الواعي، بل اشتراك العقول، واستبيان الآراء حتى تقود الحراك الثقافي.

وهذا الحراك السريع صنع منها قيما باسم الحرية، وهي تنأى في بعضها عن القيم السامية التي نزلت بها الأديان السماوية في مرحلة صفائها، ولا يقر عقلاء الأمم أن الخضوع للقيم السامية نفياً للحرية، بل يدركون إن الخضوع للهوى الجمعي والشهوانية المؤثرة في السلوكيات أكثر نفياً للحرية.إن المعادلة صعبة، وتحتاج إلى عمق فكري يؤدي إلى الإقناع، والفكر الإسلامي النقي الصافي من شوائب الأهواء الاجتماعية وأنماطها جدير بأن ينافس، ويمثل مكانة سامية في تلك العقول الحركية لو تعانق معها، وتخللها بصورته السامية، فهم يتعطشون له،



لكن المصادات والحواجز والسدود تقف ضده، فضلاً عن اضمحلال الوسائل التي تحمل الفكر الإسلامي، فتنعدم الوسائل القادرة على تبليغ الرسالة الفكرية السامية.

وما دمنا نفتقد القدرة على التواصل، ونفتقد القدرة على الاستيعاب، ولم نعمل على بناء عقولنا البناء السليم، إذن فنحن أجدر بأن نفكر في عقولنا ووعينا لتكون مصدرا لصناعة نمط التفكير الإبداعي الحي الذي يبني الفرد والمجتمع على صورة سليمة، ويدرك كيف يتعامل مع الوافد الغازي بتياراته الجارفة، ومن هنا كان على الأمة التفكير ملياً في بناء العقول الناشئة للأمة.

العمل والحياة

مدلول الحياة متلبس بالعمل، فلا حياة بلا عمل، ولا عمل بلا حياة، فإذا انعدم العمل نضب معين الحياة، فالكسل الذي استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم مرض يدفع بالإنسان إلى أن يكون ميت الأحياء، وكذلك الإعاقة البالغة التي تمنع الإنسان عن ممارسة العمل، لها تأثيرها، والتقدم بالسن إذا حجب الإنسان عن العمل فإنه من أثقال الشيخوخة، ولذلك استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الهرم.

والعمل هو حياة الفرد ونماؤه وعطاؤه والذي يكوّن له القوة والمكانة من الجاه والمال، بل هو استثمار الدنيا للآخرة.

والعمل بمنهجه هو الذي يبني المجتمع، ويعزز مكانة الأمة، ويشيد الحضارات، والعمل المنهجي يبني الدول، والالتزام به يثبت الدول، ويثبت قوتها.

والعمل وسيلة العلم وسبله، وهو المعابر الكبرى للمال، والدول التي ترعى العمل ترعى قوة أفرادها، ومن ثم قوتها، فهذه الأهمية العظيمة للعمل التي لا غنى عنها أين فكرها في عالمنا الإسلامي؟ وأين منهجها؟ وأسباب تطورها ونماها؟ إنها جديرة بالدراسات الفلسفية التي تكشف عن ماهيتها، وهي جديرة بالدراسات الفكرية التي تغرس بناء التربية للأمة، وهي جديرة بالدراسات المنهجية التي تقوم على التدريب المنهجي للفرد والمجتمع، إنها جديرة بالأبحاث العملية المتواصلة اللازمة التطبيق، وقد دعاني التأمل في العمل إلى طرح فكرة: ما دور العمل في تخلف الفرد والمجتمع والدول والأمم ولاسيما في عالمنا الإسلامي؟، والإجابة تُستبان لكل متأمل بل إن فكر العمل يكشف لنا عن اتكالية عناصر المجتمع، وضعف الفكر فيه، ويكشف عن إسقاط عيوبنا الذاتية على الآخرين في سائر الاتجاهات الفردية والاجتماعية.

والعمل له دوره في بناء الحضارة المعاصرة، فقد تلاحم فيها العمل الفكري والعمل اليدوي معاً، وكان أن قام العمل على هيكل معرفي كبير من التدرج استهلالا من القاعدة التي تقوم على الفكر، وكلنا يدرك نظريات العمل الرأسمالية، والشيوعية،ومدى صراعهما المعاصر، لكن لا يخفى التفاوت بينهما في الإنتاجية، وقد شهدنا ذلك؛ فالرأسمالية التي تقوم على شحذ همة الفرد هيمنت لقوة عمل الفرد فيها، وكثرة حوافزه، فكان لها البقاء، فالرأسمالية لا تقوى على الوقوف في وجه الفكر العملي الإسلامي لو أتيح له الاستنباط والتوجيه الفكري، والعمل به، ثم تطور المنهجية فيه، وإحياء روح الرقابة الداخلية الإيمانية، فضلاً عن الحوافز المادية والمعنوية، والذي يتمثل لي هو الفراغ الفكري العملي في عالمنا الإسلامي، وهو أولى بالإحياء كالأرض الموات، وهو الوسيلة الكبرى لانتشال أبناء العالم الإسلامي من الضعف والتخلف، ونحن لو تتبعنا معالم الفكر في اللغة أولاً لوجدنا لفظة العمل توحي بمكانته:-

العمل في اللغة:

فالعمل هو المهنة والفعل، وعَمِلَ الرجل أي قام بالعمل عند غيره، واعتمل الرجل: أي قام بالعمل لنفسه، وقديماً مدحوا الرجل العامل المنجز الذي يخدم نفسه، ويبني حياته، يقول الشاعر:

إن الكريم وأبيك يعتمل   فيكتسي من بعدها ويكتحل

فالاكتحال من الكماليات، أي فالعمل والاعتمال يؤديان إلى الترف والثراء، أما الاستعمال فهي الخدمة الوظيفية المعاصرة، وقالوا عنها قديماً: الاستعمال خدمة السلطان والاعتمال هو يشمل أوجه العمل للفرد في العمران والصناعة والزراعة، ومنه رجل عمول إذا كان كسوبا، وهو ما يسمى برجل الأعمال، والعمل يكون بالذهن أيضاً، لكنه يَرِدُ على وزن أفعل مرتبطاً بالوصف المراد. أعمل فلان ذهنه في كذا وكذا إذا دبره بفهمه، وأعمل رأيه وآلته ولسانه.

والاعتمال والعمل والعمل الذهني كلها خاصية حياتية لكل ذي حياة، فالإنسان مطبوع على العمل. فالله المدبر لهذا الكون جعل خاصية العمل ملازمة لخاصية الحياة، فليس هناك من كائن حي يُخدم ويُسعى إليه؛ فلابد من عمله حتى ملكة النحل فإن لها أعمالا خاصة بها، حتى في عملية التلقيح، والكل لابدّ له من السعي للغذاء، حتى ممارسته بالأكل عمل، والعمل خاصية داخلة في تركيب الكائن الحي، بل في أصغر مكوناته وكائناته، إنها الخلية التي تحوي عناصر الحياة، والطفل يولد عاملا؛ فالصراخ عملية للتنفس، والحركة للمران حتى البكاء، وهو يلهم عملية الرضاعة حتى يتمرس العمل الضروري له، والتربية تقع في خطأ حين تدخل الاتكالية عند الأطفال،

فلو كانت التربية تقوم على شحذ العمل من الطفولة لكان في ذلك خير كثير ودربةٌ نافعة وممارسة تجريبية، وخير من ذلك ارتباطها بالعمل الذهني أولاً، ثم تتأتى القناعة والممارسة متزامنيين معاً.

دور الأسرة في التربية العملية:

كانت الضرورة تحتم على الأسرة تنشئة الأطفال على العمل وتربيتهم تربية عملية، وذلك لانشغال الأسرة بالأعمال اليومية المتواصلة، فتضطر إلى ترك الأطفال يعتمدون على ذواتهم في كثير من مسارب حياتهم الطفولية، ثم تأتي بعد هذا في مراحل الطفولة الأولى الاستفادة من الأطفال بإرسالهم أو تعويدهم على القيام بمهام، وكذلك رؤية حياة الدأب، وتواصل العمل من الأب والأم والأخوة، ومن هنا ينخرط كل منهم في دوره؛ فالأبناء يعملون بما يهيئ للرجال، والفتيات يعملن بما يهيئ للنساء فتكون التربية العملية تربية اجتماعية ضرورية، ومن هنا كانت الحياة متفاعلة في الحياة القروية والبدوية.

ولكن مع الوفر المالي فترة الطفرة، وانتشار الخدمة،وعدم الحاجة لخدمات الأولاد والبنين، تولدت حالة التهاون والتكاسل، وفُقدت العملية التربوية للعمل، ولم يتنبه المجتمع في بلادنا وبلاد العرب، بل والعالم الإسلامي لضرورة التنظير للتربية العملية، ومن هنا نشأت الاتكالية عند الفتيان والفتيات، وصعب ترويضهم للعمل، ومالوا للبطالة، بل وصحبتهم البطالة المقنعة في أعمالهم الوظيفية، وظهرت أجيال من الشباب لا قدرة لهم على العمل، ولا عزيمة تحدوهم، ولا همة ترفع مكانتهم؛ فالشباب لا يمارس أي عمل في بيته، ولا في مجتمعه من مستهل حياته حتى الانتهاء من الجامعة؛ فالآباء والأمهات في خدمتهم الخاصة والعامة. والخدم يسهمون بالكثير والكثير.

من هنا يتجسد لنا الواقع المؤلم، والبيئة غير الصالحة للتربية العملية لتلك البيئة التي تجمد الروح المعنوية للعمل، وتجمد الأعضاء الجسمية عن الحركة، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف نكوّن بيئة أسرية واجتماعية صالحة للتنشئة العملية؟!

ومما يساعد على بناء دور الأسرة:

١- الاهتمام الإعلامي بالقضية.
٢- التوجيه في المدارس ولاسيما إقناع المعلمين والمعلمات بأهمية الأمر لينغرس في ذهنية الفتيات والفتيان.
٣- نشاط الجمعيات الخيرية.
٤- نشر الوعي التربوي الذي يدفع إلى الاعتماد على الذات.
٥- إنشاء مراكز لتنمية قدرات الأسرة على التربية.



التدريب العملي الخاص:

وهو أسلوب لتشجيع القطاع الخاص بإيجاد مراكز ومعاهد للتدريب المهني الذي يشمل سائر الاتجاهات المهنية، وتكون هذه المراكز ضمن منهجية عملية مدروسة من الناحية الزمنية، فهل تكون على شكل دورات وتارة على شكل دراسة صيفية إلى جانب التعليم المستمر. أم تكون على غير ذلك؟!

ولو كانت تلك المراكز بجانب المهن الرئيسة وقريبة من ورش العمل فإنها تستفيد من أعمال الشباب، ومن ثم تخفض الأجور، إلى جانب الغاية الكبرى من الممارسة الواقعية للطلاب.

وتكون تلك المراكز تتناسب مع أعمار الطلاب من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وتكون تحت رقابة من أولياء الأمور. ولاسيما في المراحل الأولى للفتيان والفتيات.

وهذه المراكز التدريبية تراعي الاحتياجات المطلوبة ضمن سوق العمل، أو الضرورة الدائمة لكل فرد مثل الخياطة، أو الحياكة للفتيات، ومثل الكهرباء وإصلاح العربات للفتيان.

وهذه المعاهد والمراكز قابلة للتطوير والتغيير حسب ما تمليه حاجة السوق فمن الخير أن تطرح البرامج التي يحتاجها سوق العمل بحسب التشخيص البياني والإحصائي لمتطلبات الأسواق والمصانع.

ومما يساعد على ذلك:

- مساعدة التمويل
- منهجية الأعمال واستثمارها من جانب القطاع الخاص.
- التوجيه الإعلامي للمجتمع بضرورة التدريب لكل فرد.
- الممارسة الأسرية والاجتماعية التي تتشكل في المنهج اليومي.

ما بين البطالة الواقعية والعمالة الوافدة:

إن الوعي الاجتماعي قبل مرحلة الطفرة توجه إلى ضرورة العمل في كل ميادين الحياة من الأعمال اليدوية، والحرف المهنية وأعمال البناء، وأعمال النظافة. وقد توافد العمال من الحاضرة والقرى والبادية لا يحجمون عن أي عمل رغم الدعاوى الكاذبة التي تعيب العمل المهني، فإن جيلي يدرك أن أبناء القبائل العربية قد توافدوا للمدن للعمل بأي عمل من البناء، والأعمال اليدوية الأخرى، والتحميل، وأكثرهم يعمل في الزراعة والورش الحديدية، كل ذلك من عام ١٣٤٤ هـ حتى عام ١٣٩٥ هـ.



ولكن مرحلة الطفرة غيرت النظرة، فقد كان العمل المهني سبيلاً لاكتساب العيش الكريم فبدل إن كانت تلك معابة مارسها أصبح بعد الطفرة ضعيف المردود قليل العائد المادي ثم لا يؤول إلى مكانة معنوية، وهي كذلك تؤدي إلى عمل شاق لم يُهَيَأ له الفرد.

ومن هنا فإننا يجب أن نعد الإعداد للكوادر البشرية من ناحية تكوينها السلوكي، وبناء المنهجية لهذا السلوك، وتكوين المعرفة التي تولد المهارة العالية، إلى جانب منهجية عقلية تبحث عن المعرفة المتواصلة.

وكذلك غرس الواقعية العقلانية للشباب، والرضى بالواقع المعاش، وإدراك أهمية منافسة الغير. وهذه الخواص تصاحب المراحل، ويكون ذلك عن طريق:

- الوعي الكامل بهذا في مراكز التدريب، والمدارس، والأسرة.
- التوجيه الإعلامي.
- بث الوعي الثقافي الواقعي بين الناشئة.
- المنهجية الفكرية والسلوكية لهذه المراكز.

العلاقة بين المدرسة وميادين الحرف والمصانع الوطنية

يتطلع الشباب لمناحي العمل، ولكنه يجهلها، فينشغل بالتعليم النظري، وتخبو شعلة العمل والإنجاز، حتى تفوت مرحلة زراعة الرغبة العملية.

وقد كانت لي تجارب مع المدارس والمراكز الصيفية حينما نأخذ طلابنا بجولات على المصانع المتواجدة بالبلد، وتأثير وقوفهم على نفسياتهم وتطلعاتهم فكانت جذوة تشتعل في أحاسيسهم، وتنمي تطلعاتهم، فمن الواجب أن تكون هناك زيارات ميدانية رسمية متداخلة مع العمل، فيمارس الطالب العمل فيها مع التنسيق مع الحرف والمهن والمصانع والمدن الصناعية؛ فيكون هناك يوم المهنة في الأسبوع لكل مدرسة، يذهب الطلاب للعمل داخل المعامل الحرفية والمهنية، ويجتمعون مع أرباب العمل، ويصاحب ذلك التعريف بالمهنة وضرورتها لكل فرد منهم.

وتكون عن طريق:

- التهيئة بواسطة الغرف الصناعية والتجارية.
- إقناع أرباب العمل بضرورة ذلك، مع محاولة الدعاية لهم، والاستفادة من التعامل معهم.



- وعي المعلمين المشرفين على العملية التعليمية.

التدريب العملي:-

فلسفة التدريب العملي فلسفة ذات ارتباط رباني، فهي خاصية أودعها الله في كيان الإنسان، وخص تطوره وبقاءه في الكون بناءً على قدرته العملية، بل جعل الرضا عنه من قبل الرب سبحانه وتعالى، ومن قبل المجتمع مرتبطاً بالعمل، بل إن العبادة لا تقوم عند البشر إلا بالعمل، بينما هي عند باقي المخلوقات من قبيل الفطرة، بل إن العمل وظيفة البشر في هذا الكون، فالإنسان يستعمر الأرض، والإنسان خليفة الله العامل في هذا الكون، ويتكرر في القرآن الكريم ارتباط الإيمان بالعمل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، والعمل هنا ليس العبادة فحسب، بل لكل عمل عبادة مع النية الخالصة.

وكان التدريب العملي مرتبطاً بالمجتمع، مجبراً عليه فالناس في الجزيرة أحوج ما يكونون للعمل البشري بداية من الطفولة واعتمادها على الذات في حدود قدراتها حتى تنطلق عاملة صغيرة، ثم كبيرة، غير أن هناك انحرافات في الممارسة العملية، وربما في الفكر العلمي حاولت أن تحيط العلم بالرعاية التي حجبته عن العمل، وهذا خطأ كبير ولدّ بطالة قديمة في العالم الإسلامي، وفجر بطالة في زماننا المعاصر في مرحلة الطفرة، فمر ما يقارب من ثلاثين سنة، والأسرة ليست في حاجة إلى عمل الطفولة والمراهقة،وهي أيضاً لم تستشعر مسؤولية التربية العملية للطفولة، وكذلك العملية التعليمية لم تستشعر بالتربية العملية، وإنما وقفت على المعرفة المعلومة وحشو الأفكار، فتعطل العمل، ومن ثم تكشفت لنا البطالة المقنعة أولاً في أجيال الموظفين، بل حتى عند طلبة العلم. ثم تبلورت البطالة بمعناها الواسع اليوم.

الممارسة العملية:-

خلق الإنسان ليمارس الحياة العملية القوية في النفس تتمثل في الاندفاع وعزيمة الإنجاز، وهي أحوج ما تكون إلى عملية تربوية تطبيقية تقوم على الممارسة العملية من الأشخاص، ويهيئ لهم المضمار إذا كانت الميادين العملية مغيبة في البيئة الأسرية والمجتمع كما طرأ في عصرنا اليوم على أساليب التربية المعاصر؛ فالدلال والبعد عن العمل يهدر الجهد، فقد قامت الأسرة والخدم بمهمات الخدمة، مما عطل الجانب العملي التطبيقي، ووجهه إلى الكسل، وبنى الضعف في التربية العملية ومنهجيتها.

وكثير من الأسر المنعمة بعثت بأبنائها لمراكز ومعاهد وكليات تنمي روح العمل بكل جد عن طريق الممارسة الشاقة، كما نسمع عن الأسر الحاكمة في أوربا، وكذلك المعاهد والكليات الحربية التي تقوم على التدريب الجاد، ومثلها في الهند وغيرها.



ومن العجيب أن الأوربيين أكثر منا أبناء الجزيرة ممارسة وصلابة وخروجاً إلى الصحاري والمرتفعات الجبلية الشاهقة، ليس ذلك مختصراً على فئة، وإنما الكثير من الذين أتوا إلى بلادنا يخرجون إلى البراري والصحاري القاحلة، ويجوبون الأودية، ويصعدون على التلاع، ونحن هنا في بلادنا لم نستطع أن نكّون مراكز سياحية تعني بالرحلات العملية التي تعرف الأبناء بالحياة العملية، وتعرفهم ببلادهم، وتعودهم مع الحياة العملية، ونحن نجد عند الشباب المعاصر ميلاً إلى ذلك، فكثير منهم عاش في القصور، لكنه يهوى الحياة البرية. فلماذا لا تكون هناك مراكز سياحية منظمة تحفل بهذا الجانب، وتبنى على الممارسة العملية لكل ملتحق بها، فهو لابدّ وأن يؤدي دوراً وجهداً، ويبذل معاناة في رحلة ذات مشقة في نظرهم.

مثل هذه الرحلة تعرفه على الحيوانات والأشجار بمشاهدة حسية بديل الدراسة النظرية عن الناقة والدجاجة، ومثل هذه الرحلات تأخذه إلى مصانع بعيدة مثل آبار البترول في الربع الخالي. وتارة تجوب به شواطئ البحار الممتدة.

تلك ممارسة عملية تشحذ همة الشباب بعدم تركها للممارسات المنحرفة مثل السرقات والسطو وغيرها. ومثل هذه يجذب لها الشباب من الأحياء الشعبية والفقيرة، والذين يتسربون من الدراسة في مراحلها الأولى، ولو عن طريق الجمعيات الخيرية، ووزارة الشؤون الاجتماعية.

المدرسة والتربية العملية:

تنمي التربية العملية بالمرحلة الابتدائية في حدود إمكانية الأطفال وقدراتها بتوجيهم وتوصيتهم بممارسة الأعمال المنزلية، وخدمة الوالدين، وممارسة التنظيم وأعمال النظافة داخل المدرسة، إلى جانب التطبيق العملي للمواد الدراسية.

أما في المرحلة المتوسطة فتكون هناك ورش عمل مهني داخل المدارس فيما هو ضروري لكل فرد مثل الأعمال الكهربائية، وأعمال السباكة المنزلية، ومعرفة جوانب هندسة العربات، وتكون هناك حصص منهجية.

أما في الثانوية العامة فإن الغاية أن يتخرج الطالب وقد تمرس على العمل وأدرك أين يجد نفسه من خلال دراسته المتعمقة في شؤون الزراعة والصناعة، وذلك أيضاً عن طريق الدراسة المنهجية والتطبيقية التي تبدو في:

- أن تعنى وزارة التربية والتعليم بمناهج عملية، وتبني المنهج العملي الفردي.
- أن تكون هناك أعمال يدوية وحرفية في المدرسة تكون ضمن إطار المنهج المدرسي.
- أن تكون هناك دورات ممنهجة في المدارس خارج من المنهج.



التأهيل العملـــي



التأهيل العملي:

يجب أن يعاد النظر في نظام التعليم المهني وتدريبه، وأن تراعي فيه تباري مسارَيْ التربية النظرية والسلوكية والتربية العملية. ويجب أن يُنشّأ الفتى والفتاة على واقع الحياة والممارسة الفعلية، وقد نجحت ألمانيا في تجربتها بوجود ما يسمى (النظام الثنائي) للتعليم المهني، ويقوم على تأسيس مدارس مهنية، وهو العنصر الأول، أما العنصر الثاني فهو ميادين العمل التدريبي أثناء الدراسة، وهذا يجب أن يكون من الشركات والأعمال الحرفية المتواجدة في سوق العمل كالمدن الصناعية، والمدن المهنية في كل مدينة من مدن المملكة، إلى جانب المؤسسات الطبية والشركات ذات التخصصات المتنوعة.

ومن الخير أن توصى الدراسة بتنظيم ذلك رسميا؛ فيكون التدريس في المدرسة المهنية لمدة أقل من الممارسة العملية في ميادين العمل.

ويجب أن يكون لها نظام خاص حتى لا يُحجب الطالب عن العمل في الورش؛ لأن هناك من يرغب في تهاون الطالب، ويعمل كل شيء باسمه ويعطي شهادة بلا عمل فعلي، كما حدث لخريجي المهن الطبية وفي بعض الشركات.

ويجب أن تكون هذه المدارس ميسرة لجميع الشباب، وأن تحرص على تعليمهم وتربيتهم تربية مهنية عالية من حيث المعرفة، والعمل المهني، والتربية السلوكية.

وتبدأ مهمة هذه المدارس من بعد مرحلة الابتدائية أو المتوسطة، بل حتى أولئك الذين لا يحملون مؤهلا فإن تعليم المهن ضرورة حتمية لكل فرد حتى الجامعي، فكثير من طلاب العالم الثالث حين يذهبون للغرب يتدربون أولا على مهنة ليكسب العيش منها، وكثير من طلاب الجامعات يتعلمون مِهَنًا بعد تخرجهم، فتكون مجال عملهم.

إن تأسيس مدارس مهنية في سائر مدن المملكة بهذه الطريقة المبسطة التي تعلم على التنظير، والتربية العملية، والرقابة مطلب وطني، وأما كلفة التدريب ومستلزماته فإنها تكون من الشركات نظير العمل الفعلي للطالب ومشاركة اجتماعية.

وما دامت التجربة ناجحة في ألمانيا وكثير من دول العالم فلماذا لم نأخذ بها ونعدل مسارها حسب واقعنا؟

والتعليم المهني لا يقف عند هذا الحدّ، فيجب أن يكون له ميادين أوسع بأقل كلفة مادية وأقصر زمنا، ولاسيما في الأعمال التجارية الخفيفة، وفي الأعمال المنزلية، ومستلزمات الأغذية، ومستلزمات الحياكة وأعمال النظافة والخدمات، وكل هذه تحتاج إلى مدد تتراوح بين شهر وسنة.



ومن الموارد الاقتصادية والمشاركة الفعالة أن يفتح المجال لمن يقوم بالتعليم والتدريب المهني في مدارس خاصة، والفارق بينه وبين التعليم الثنائي المهني أن هذا الأخير يقوم على مدرسة واحدة تؤمن كل ما يتعلق بالتدريب تأمينا ذاتياً، ولكن هذه المدرسة تكون أكثر كلفة، وغالباً ما تكون في مرحلة عليا، ولمهن ذات دقة عالية مثل الطب، والحاسب الآلي، والهندسة، وما يماثل ذلك.

أما المعاهد التجارية فإنها من واجبات الغرف التجارية، فهي تستوعب أعداداً من الشباب القادر على خوض عباب العمل التجاري بعد تدريبهم وتوعيتهم.

المناهج الابتدائية:

اعتمد الرواد الأوائل الذين وضعوا المناهج في البلاد العربية على أولئك الذين اقتبسوا من المنهجية الأوربية، وأغفلوا المنهجية العربية والإسلامية في الكتاتيب، وتدريس المدارس والمساجد، فالمنهجية الحديثة للمدارس عمدت إلى التنظير المباشر، وأعرضت عن الجانب العلمي، وعمدت إلى تكثير المواد وكثافتها، فعددت المواد، وأكثرت من محتواها في الابتدائي والمتوسط، وأثقلت الأمة بتعليم نظري لا يبني منهجية عقلية ولا تربوية ولا سلوكية، بل لا يبني عقلية تأملية ولا يبني حافظة قوية تقوم اللسان أيضاً.

بينما المنهجية الإسلامية تقوم على تأسيس التعليم من القراءة والكتابة وتعليم الضروري من الرياضيات، وكلها مؤهلات لمن أراد أن يتحول إلى الحياة العملية، أو من أراد أن يواصل مسيرة التعليم، بل هناك الكثير بل الغالبية التي جمعت بين الحياة العملية والعلم في المراحل الأولى من حياة الشباب، وحتى أولئك العلماء والأدباء يمتهنون مهناً؛ فمنهم الساعاتي، والسراج، وقيّمُ المدارس.

إذن فنحن من هنا أرى الجمع بين أحسن المنهجين، فنكثف في المرحلة الابتدائية تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم؛ لأن مرحلة الطفولة أشد حافظة، وكي تقوّم اللسان، وتجاربنا مع أولئك الأقدمين من طلبهم للعلم وقوة علمهم، وتجاربنا مع حفظة القرآن المعاصرين، فإنهم أبدعوا في المجالات العلمية في الطب وسائر العلوم، فضلاً عن إبداعهم في العلوم الشرعية.

وتجاربنا في المعاهد الشرعية والعلمية، فقد امتازوا بتكوين شخصية معتدلة عاملة تؤدي وظائفها الوطنية باقتدار. لتلك الأسباب أرى اقتصار مرحلة الابتدائي على إجادة القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم إلى جانب تثقيفهم بالتعليم الميداني والممارسة العملية والمشاهدة الفعلية لحياة الحيوان والنبات، وكذلك الوسائط الإلكترونية الحديثة عن طريق التعليم المبرمج من باب التوعية والتدريب الفعلي والمنهجي والسلوكي.



فالهدف الأول في المرحلة الابتدائية هو تعليم فن القراءة والكتابة ومعالم الرياضيات، وتأسيس التربية العملية والمهنية في إطار التعليم العام قضية يتداولها الجميع، ويتمناه المجتمع، وهي ضرورة وطنية وفردية، لكن الأمر المحير كيف يكون السبيل إلى ذلك؟ وأرى أن يقف التربويون عندها طويلاً، ويتخذوا قراراً حازماً فيها واضعين إطاراً عاماً للمنهج، ومراحله، ومدة تنفيذه، ووضح موقعه من محتوى المواد، وتطوره أثناء مراحل الدراسة، ولذلك يخضع للتجارب في مدارس معدودة يمارس التدريس فيها شريحة من المدرسين المدربين على التطبيق العلمي.

سأتناول المعلم من ثلاثة محاور:

الأول: وضع شروط للالتحاق بالتدريس.

الثاني: إيجاد سبيل لاستبعاد الذين لا يصلحون للتدريس.

الثالث: التربية التعليمية المستدامة للمعلم.

أولاً: وضع شروط للمعلم:

تكثر الشكاوى من ضعف المعلم، ومن سلوكياته، وهذا حقّ، والقدماء من المسلمين وضعوا شروطا قوية لتدريس الصبيان في الكتاتيب وغيرها، وهي خاضعة لرقابة الحسبة، وخاضعة للمراقبة من أهل الحي والمسجد، ولا بّد أن يزكى من يسمح له بالتدريس من قبل أهل الصلاح، وأن يكون متزوجا وألاّ تكون هناك خلوة للمعلم والطلاب.

والسؤال المطروح أين تلك الشروط الواضحة المعالم التي يطلع عليها المعلم أولاً قبل التحاقه بالتدريس ليأخذ بها وتّطلع عليها الهيئة المشرفة على التعليم من المدرسة إلى إدارة التعليم إلى الوزارة حتى يحاسب المعلم من خلالها؟ وأرى أن تكون من باب الأنظمة، ومن هنا يتطلب أن تضع اللجنة نظاماً واضحاً .

ثانياً:إيجاد سبل لاستبعاد الذين لا يصلحون للتدريس والتربية العملية والمهنية:

فمن الواجب الوطني، وكي نساعد المنفذين في وزارة المعارف أن يوجد مخارج لأولئك المعلمين، شأنهم شأن الذين يلتحقون بالطيران ثم يطرأ عدم قدرتهم، فإنهم يؤهلون ضباطاً إداريين، وكذلك فإن الجيوش العالمية عندما تسرح أفرادا فإنهم يؤهلونهم للأعمال الأخرى، ولماذا لم نفكر في عملية تأهيل المعلمين وتحويلهم لأعمال أخرى؟ فبناء عقول الأمة أهم بكثير من أن يُغير عمل هذا المعلم.



ثالثاً: التربية المستدامة للمعلم:

أعلم من قبل بأن هناك برامج تعدها إدارة التعليم، وهناك برامج تعدها الوزارة، ولكن هذا كله لا يغطي عشرة في المئة من عدد المعلمين، ومن هنا يجب أن نفكر بالتربية الذاتية التي تدفع كل فرد من المعلمين إلى التحصيل المعرفي للتربية، وذلك بتكوين لجنة تربوية في المدرسة لطرح قضايا التعليم بواسطة المدرسين وتكليف كل مدرس بموضوع، وتكليف الجميع بحضور حلقات النقاش، ويكون نشاطه مدوناً ضمن تقريره، وتكون هناك نماذج لتسجيل الحضور ترفع صورة منها دائمة حتى تتراكم المعلومات عنه.

وهذا يجعل التربية حاضرة في ذهن كل معلم، بل تستفيد المدرسة ذاتها لتكون مشاكلها وقضاياها ضمن القضايا المطروحة للمعالجة، وتكون هناك قاعدة معلومات عند كل إدارة تعليم.

إذا استطعنا أن نحصر التدريس للمعلمين المؤهلين ذوي الشخصيات المستنيرة التي تستشعر الأمانة، وتحمل هاجسها فإننا نستطيع منحهم صلاحيات التأديب بمراحله، ومنها العقاب الذي ينتهي بآخره إلى الضرب الذي يؤدب، ولا يضر.

ومن ذلك اشتراك المدرسين في العملية التربوية، في لجانها وحلقات النقاش، وعلاقتها بالمجتمع، وتطوير المدرسة شكلياً ومادياً. ويجب أن تكون حلقات النقاش شاملة لتكوين المدرسة حتى يستشعر كل مدرس المسؤولية.

ومنها تحديد السلبيات العامة للمدرس والتدريس في المدرسة وتحديد الإيجابيات بعمومية حتى يستطيع كل مدرس أن يقيم ذاته، فيزيد العطاء، ويتلافى السلبيات.

المنهجية التربوية العملية

كانت الحياة في قديم الزمن تفرض على كل فرد أن يقوم بالأعمال اليومية الضرورية من إعداد الأطعمة، بل والألبسة والنسيج، ثم تطور الأمر على الاقتصار على التفصيل والخياطة وكيفية الإعداد تشترك فيه الأسرة كاملة.

أما اليوم فإن برامج التعليم ومناهجه حصرت القدرات الفردية للرجل والمرأة، وجعلته يجهل الضروريات التي أمامه، بل ولا يدرك مظاهر الجودة فيها كمثل الحياكة للنساء، والكهرباء والمواد الصحية في المنازل، بل عُطْل العربات السهلة الإصلاح، وهذا هدر مالي وزمني،وفردي ووطني يقدر بالبلايين من الريالات، فهل لنا بتربية جديدة تعنى بالضروريات العامة الشاملة التي تجعل الفرد عاملاً ذاتياً لكيانه وكيان منزله في الأمور اليسيرة. التي توفر له المال والجهد بل تحميه من المخاطر؟ فعلمه بالكهرباء مثلاً يصيره مدركاً لعيوبه، ومن ثم يتلافاها.

والمتأمل في مناهج وزارة التربية والتعليم يدرك أن أهداف المواد الدراسية تخضع لمتطلبات شرعية، ولغوية وعلوم تطبيقية واجتماعية، وقد أخذت بها وزارة التربية والتعليم من جانبها النظري، والذي نحن في حاجة إضافته الآن ينحصر في أمرين:

١- المنهجية ٢- والتطبيق والممارسة.

أولاً: من الناحية المنهجية

إدخال محور المنهجية والاعتناء به، وأُقسّم هذه المنهجية إلى منهجية في كيفية القراءة، ومنهجية الاستيعاب،فهناك كيفية تعليم القراءة من المعلم لطلابه وهناك القراءات التي يجب أن يدركها المعلم ليعلمها لطلابه، ومنها القراءة السريعة والقراءة التأملية الواعية، وهناك الاستماع والوعي به، حتى النظر وكيفية التبصر به.

وهناك المنهجية الزمنية، تغرس في أبنائها تنظيم الوقت واحترامه، وهذه تحتاج إلى وضع ضوابط لها ليأخذ بها كل معلم، وما تعليم المنهجية الزمنية بالعمل الهين.

وهناك المنهجية العقلية التأملية حين تطرح القضايا والمشاكل كيف يتصدى لها الفرد؟ فنحن تحت هطول الأمطار الفكرية، وتياراتها العاتية نريد أن نبني فكرا تأمليا يمحّص الأمور حتى يؤهل الطالب إلى الرؤية السليمة، ولا يتجسد إلا بتنزيه التأمل عند الطالب.

وهناك التربية العملية التي يمارسها الأطفال لينمو معهم حب العمل، وذلك عن طريق الممارسة العملية لأفكار وجزئيات المناهج، والالتزام بالنظام للمدرسة، بل حتى بالنظافة العامة للمدارس، وأخذهم رحلات لميادين العمل، وغرس حب العمل وثقافته.

ومن الأهداف التربوية الذي يجب أن تبرز:

- ربط كل علم بالعمل بداية بالمواد الشرعية.
- التركيز على المعارف والمهارات والقيم السياسية لمجال العمل.
- تنمية القدرات المهنية.
- التعرف على متطلبات مجال العمل،وما يرغّبَ الطالب لكي ينتمي إلى أحدها.
- تبصير الطالب بالأعمال وضرورتها ونتائجها.
- غرس حب التطوير العلمي لدى الطالب.



ثانياً: التطبيق والممارسة

وهي عملية التطبيق والممارسة الفعلية للمعرفة النظرية المطروحة، فالعلم يُطلب ليس للعلم فقط، وإنما للعمل به؛ فالعلم وسيلة العمل، فأين العمل في تعليمنا؟ هل هناك عمل يفي بالغرض ليدرب ويمارس العبادات وخدمة الذات، وتطبيقات المعلومات وممارستها؟ ومن هنا يجب أن يرتبط كل محتوى بمساحة زمنية للتطبيق العملي.



التربية العملية
ووزارة لتربية والتعليم



التربية العملية ووزارة التربية والتعليم:

إن تفاعل الحياة المعاصرة والاتجاه العالمي للعولمة، وحاجة المجتمع لإيجاد شباب يصطحب المعرفة، ويتفانى في العمل، ولكي نزيح إفرازات الطفرة التي خلفت لنا ظاهرة التهاون في الأعمال والبطالة المقنعة، والاتكالية عند جلّ الشباب كل ذلك يدعو إلى إعادة النظر في التربية للأجيال اللاحقة، وإن على شرائح المجتمع أن تكثف الجهد لبناء التربية العملية، ليس للعمالة فحسب، وإنما لكل فرد، فهناك تهاون في الأداء في سائر المؤسسات والدوائر.

ومن هنا فعلينا تنمية التربية العملية والمهنية وغرسها إعلامياً، وتربية أسرية، وتربية تعلمية عملية.

وإن ما تقوم به وزارة التربية والتعليم عمل جليل وعظيم له دوره الفعال في حياة الوطن، ومازالت الوزارة تعلن، وتعمل لتحقيق أهداف الوطن التربوية السامية.

لكن العملية التربوية خاضعة للتطوير التربوي المستمر، وواضعو الخطة التعليمية الأولى انطلقوا من الضرورة القصوى للتعليم النظري لفقدانه في تلك المرحلة مما دعاهم إلى تكثيف التعليم النظري، لأن الفرد مندفع عملياً.

أما اليوم فنحن في مجتمع تضاءلت فيه الروح العملية مع ضرورتها القصوى، ومن هنا يجب أن تدخل التربية العملية ضمن أهداف التربية العامة، ويجب تنميتها في شباب الوطن، ونحن أحوج ما نحتاج إلى عمل الشباب بدلاً من تعطيله، حتى يتجاوز السادسة والعشرين، ثم يعمل عملاً نظرياً.

ونظراً لكثافة البطالة واستمرار البطالة المقنعة مع كثير من الشباب، وحاجة المجتمع للعمالة ينبغي أن ننمي روح العمل عند الطفل، وتكون تربيتنا تتضمن استمرار تأهيله في مرحلة الشباب لينزرع حب العمل، وتنزرع العزيمة في شخصية كل فرد.

ومن هنا فأني أدعو إلى إيجاد آلية عملية شاملة بجانب التعليم النظري لكل من المرحلتين المتوسطة والثانوية؛ فتكون هناك ورشة عمل ملحقة بكل مدرسة تعلم مبادئ الكهرباء والمواد الصحية، ومبادئ هندسة العربات تعليماً إلزامياً في مرحلة المتوسطة، وتتطور في المرحلة الثانوية لتشمل الصناعات الأخرى، وتكون دراسة عملية، وزيارات ميدانية تماماً كعمل التدريب التربوي، وتدريب الأطباء، ويدعم ذلك إيجاد ورش كبرى في كل مدينة إلى جانب التنسيق مع المدن الصناعية.

إنه مشروع وطني جبار، بل ضرورة حتمية في زمن العولمة نجاري به الدول التي مارست هذه العملية، ونجحت في غرس حب العمل لمواطنيها.

ومن هنا يكون المتسرب من الطلاب، أو الذي حصل على درجات ضعيفة يمتلك التأهيل للعمل الميداني، بل نفتح الأبواب للمبدعين والراغبين في هذا الميدان، وما أكثرهم، وهو يعمل على تنمية العمل في شباب الأمة، ويؤدي للتدريب على ضروريات الحياة المعاصرة، فكل فرد لا يستغني عن الكهرباء، والمواد الصحية، وإصلاح عربته.

ومن حسنات هذا الإجراء اكتشاف المبدعين الفنيين مبكراً، وهو يؤهل المتسربين والمؤهلين تأهيلاً ضعيفاً كما يحمي من البطالة، كما له مردود أمني على المجتمع.

ألم ندرك التفوق العملي عند العمالة المهنية الوافدة من الدول الصناعية المتقدم ومن الدول الآسيوية التي وضعت منهجية متفوقة لبناء روح العمل ومنهجيته وآليته؟ وكل منا يدرك غياب تلك الروح المتفانية والمخلصة في العمل عند كثير من البلاد العربية، ونحن من فلكها، مع أن ديننا الحنيف يزرع الرقابة الداخلية، فلو عمدنا إلى ترويض النفوس على التربية العملية مبكراً، وقمنا بكشف القيمة السلوكية للعمل، وكذلك الأثر النفسي للرقابة الداخلية التي تكثف الأجر، وتزكي العمل في الدنيا لو قمنا بتنمية كل ذلك لرأينا أثره الطيب على وطننا في فترة وجيزة في عمر الأوطان.

فلعلنا نسعى جاهدين إلى هذه التربية العملية استهلالاً بالمنزل وأسرته وتواصلاً مع المدرسة في مسيرتها العلمية والتربوية والعملية، وكذلك في مواصلة الحياة العملية بعمل آلية تحسن للمحسن وتعاقب المسيء.

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يؤهلها لحملة الأمانة الإسلامية والوطنية.



من الفكر التربوي





فن الفكر التربوي:

الكثير يقر بالفشل التربوي في عالمنا الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، والواقع أن نجاح التربية نسبي، فليس هناك فشل كامل؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكانت الشعوب كلها جاهلة ومتخلفة ومنحرفة، لكن النجاح التربوي يتفاوت في المعمورة لعوامل كثيرة، بعضهم يعلقها بمصدرها الأول المعاصر والمنتج من الغرب، فإن هذا التقليد أساس التخلف التربوي لاختلاف المجتمعات، والواقع أن مكونات التربية الغربية تفتح باب الفكر، ولا تلزم به، ولا ريب في ذلك، لكننا نأخذ جوانب التنظير، ونعرض عن جوانب التفعيل والممارسة، بل إن بعض رواد التربية يتعامل مع النظرية التربوية وكأنها عملية تجريبية حتمية التطبيق.

وفي مجتمعنا قد قامت مؤسسات التربية بجهود جبارة أقف بفكري أمام أولئك الرواد الذين قادوا النهضة الفكرية والعلمية في بلادي، ولكن الوقفة المتأنية هي حول الالتزام بالتربية، فالتربية هي امتزاج المعرفة بالدراية والممارسة لتتجسد عملاً إبداعياً.

ونحن في فكرنا التربوي نحاول التواصل بين الفلسفة التربوية والواقع العملي؛ لأننا إذا أخذنا مثلاً نظرية تربوية سلمنا بإيجابياتها واكتمالها، فمثلاً نظرية التأمل والفهم التي لجأت إليها التربية، وأغفلت الحفظ، فتلك النظرية دعوة سليمة في حد ذاتها، لكن سلامتها لا تحتم اجتناب الحفظ في سن مبكرة من مراحل التعليم، تلك المرحلة التي يكون فيها الإنسان أقدر على الحفظ، ولاسيما المسلم في حفظ القرآن الكريم وحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم -. ومرحلة الحفظ في تاريخ التربية الإسلامية لا تتعارض مع التأمل والتفهم وكلاهما يسير جنباً إلى جنب، وكم فقدنا من استقامة للسان، واستيعاب للقرآن من جراء هذه النظرية في عصرنا الحاضر.

ونحن لو ضربنا مثلاً آخر للممارسة الفعلية لعمل واقعي لا يستغني عنه كل فرد لاتضح ضرورة ارتباط المعرفة بالعمل في شتى ألوان المعرفة، فمثلاً نجد أن كتب تعليم القيادة للعربات تتجاوز أربعمائة صفحة، ولكن جلّ الأفراد يستوعبونها في أقل من شهر، بينما لو درّسناها نظرياً لاستغرق ذلك أكثر من فصلين دراسيين. ومثل ذلك سائر المهن. وبعضهم يرى أن هناك معارف لسانية إنسانية غير خاضعة للتجربة، وهذا يفتقد المصداقية، فإن الممارسات المنهجية أحوج ما تحتاج إلى الممارسة التطبيقية، فمثلاً علم المنطق، ومثله المناهج الفكرية للتأمل العقلاني، وهناك المناهج الفكرية للتأمل السلوكي وكلّها لا مكان لها إذا لم تمارس فعلياً في حياة





الفرد، وتتلاحم مع الأفراد لتكون مناهج اجتماعية أسوة بالتربية في اليابان والغرب. فكل فرد بذاته يحمل منهجاً سلوكياً وعملياً أقرّ بها للصحة المنهج العملي.

ونجاحهم في المنهج العملي مكّن لحضارتهم السيادة، ولشعوبهم القوة، ولحياتهم الرفاهية، ولمجتمعاتهم الأمن الغذائي، بينما الضعف المنهجي الذاتي صحب أفراد المجتمع، إلا من رحم ربي، حتى أولئك الذين درسوا في الغرب واستقوا من نظرياته، ورأوا الممارسة الفردية الذاتية في الإدارة الصغرى والكبرى التي تنظر إلى المجتمع بمنظار العقل والقانون، ويتكرمون بالتعامل الإنساني.

أما كثير من الدارسين من عالمنا العربي يعودون ويمارسون الحياة العملية فتتلاشى الذاتية الفردية الصالحية وتهيمن عليها الانتمائية، وتنتفض فيها الولائية الاجتماعية السلبية من تقريب القريب وتآزر الأسر، ومرعاة التقارب الاجتماعي، وتنتفض كما ينتفض العصفور بلله القطر، فيطغى الجانب السلبي الاجتماعي على الخدمة الاجتماعية التي تقوم على القانون والنظام والتعقل.



تأهيل فكري وسلوكي للحياة الزوجية

تأهيل فكري وسلوكي للحياة الأدبية:

إن الحياة الزوجية خاصية إنسانية، وهي خاصية عقلية، وخاصية وجدانية مستديمة، وخاصية حب وتآلف، إنها عمارة الإنسان، إنها صحة الإنسان، إنها الأنس اليومي، وإنها السعادة البشرية، ومع أهميتها الكبرى، وعظم المسؤولية لها وعنها. وتواجدها اليومي في الكون لم تجد من الدراسات والفلسفة والفكر ما يماثل هذه الأهمية في عالمنا المعاصر، مع أن العلم اعتنى بالإنسان فرداً، واعتنى بجسمه وأعضاء بدنه، وتكوينه الجسدي، وبحالته النفسية، ورغباته الذاتية، وعلاقته بالمجتمع.

فقد أغفلت الدراسات الفكرية ضرورة المشاركة الزوجية الطبيعية المنغرسة في كيان النفس وكيان العقل، وكيان الجسد لكل من الرجل والمرأة، فحياتهما تكاملية، صلاح الأسرة بصلاحهما، وصلاح المجتمع بصلاحهما، وصلاح الفرد بصلاحهما، وتماسك الشعوب بتماسكهما، ومع كل ذلك وذاك لم تكن هناك عناية بحثية شائعة حول مؤثرات سلامة الحياة الزوجية واستقامتها، ولا بمنغصاتها ولا بالباترات القاطعات للحياة الزوجية، ولا بالدراسات الوقائية من الفشل.

إننا في عالم يدعو إلى الشتات، ويدعو إلى محاربة الفطرة، ويدعو إلى تعطيل ضروريات الحياة البشرية، ويدعو إلى الإباحية، ويسعى جاهداً لأن يتراجع الإنسان عن عقليته، ويتنازل عن إنسانيته، إلى التشابك مع سائر الحيوان، فتكون حياة بهيمية، وينزو كلٌ على الآخر، حتى المتماثلين في أي مكان شائع، يجد بغيته في أي زمان ومكان، وحيثما حلَّ أو ارتحل، وتنفض العلاقات كتفرق الحيوانات. وقد هبت رياح ذوبان الأسرة على المجتمع الإسلامي والعربي، وما نحن بمنأى عن هذه المؤثرات، وقد رأينا معالمها فيما يعتري الأسرة من تفكك، فقد تداعت أواصر الودِ والتلاحم، وتداعى الإيثار، وتضاءلت الملائمة بين المصلحة الذاتية والقرين الشرعي، فكل فتى أو فتاة يبني قصوراً من الأحلام الذاتية، فما يعنيه إلا تلبية رغباته وشهواته، وتلبية خدماته، وتوافر الأجواء غير المنقصة لما اعتاده من نمط الحياة، ولو كان مخطئاً.

وكل من الزوجين معني بتوفير المال، أو لنقل بذلهُ لحاجاته الذاتية بلا توازنٍ مع سائر أسرته، بل يُؤثر زياراته والتعامل مع أقرانه على الذين يبذلون له بسخاء، فلم يفكر بالتوازن مع الوضع الأسري الذي يقوم على تبادل الحب، وعلى تبادل المنفعة، وعلى تبادل الكرم، وعلى تنمية الود وتجديده، قوامُ ذلك الكلمةُ الطيبةُ، وأكسيره العمل الصالح، ومقوماتُهُ زراعةُ أسباب الحب وموجباتُهُ وتزايدُه وتناميهُ وتجديدُه)).



وشبابنا في معزلٍ عن معاناةِ المجتمع، فالفتياتُ لا يجالسن النساء المتقدمات في العمر، بل هن في انعزالية تامة عن أحاديث المعاناة، وأحاديث السعادة، وأحاديث الانفصال، وقصص النكبات وأسبابها، والطلاق ومصائره المعذبة. فهن في غفلة، ومن هنا لم تُهيأ الفتاة للبذل والعطاء، وإنما للكسب ومقومات الأنا.

والشبابُ في معزل عن مجتمع كبار السن، فلم يسمعوا عن سيئات العلاقات الزوجية، ولم يسمعوا عن حسناتها، ولم يتفهموا حكمة الكبار في كيفية إشادة الأسر والحفاظ عليها. ولم يقص عليهم سير الرحلات المختلفة المتصالحة منها والمتعارضة، ولم يفكروا كيف يستحوذون على قلوب نسائهم وأُسرهم، ولم يقدروا أحاسيس الفتاة، ولا أحاسيس أهلها، بل لم يقدروا أحاسيس أطفالهم حين يستمعون لخلافاتهم ومشاجراتهم، ولم يُقدروا نكبات ومعاناة الأطفال عند الطلاق والفراق. إن الفتيان والفتيات يدرسون ألواناً من المعرفة،و لكن المجتمع غفل عن تدريس أهم مادة ضرورية لحياتهم، تلك التي تصاحبهم في مراحل أعمارهم وتطورها؛ تلك المادة التي تدور حول سلوكيات الحياة الزوجية: نجاحها وفشلها، عوامل تثبيتها، وعوامل زعزعتها، وقصص التجارب الناجحة، وقصص التجارب الفاشلة.

إن مشاكل الأسرة ومشاكل الزواج تكاثرت في عصرنا هذا لأننا لم نبن فكراً ومنهجاً وسلوكاً يواكب الحدث، ولم تستوقفنا العوامل التي تكونه، والعوامل المؤثرة فيه، فكأن الشاب والشابة ينخرطان في مهنة لم يُعدّ إليها الإعداد الكامل، ولم يؤهلا بمؤهلات المعرفة والمنهج، فلا شباب ولا فتيات مهرة في صنع الحياة الزوجية، وإنما هو عمل يوازي بطالة واتكالية العمالة في بلادنا، فليس هناك تأهيل مبكر وتعليم وتوجيه.

ولعل المجتمع ينطلقُ بمنهجيةٍ جديدةٍ لنبني لأولادنا بيوتاً يستوطنها الحبُ والألفة والود، ومن أقرب الحلول وأسرعها:

أولاً: تهيئة المجالس الأسرية ونوادي المجتمع للمحادثة والحوار ومناقشة القضايا الأسرية، كأن تشجعُ النساءُ بناتهن على حضور المجالس النسائية التي تطرح قضايا الزواج ومشاكله ومحاسنه، وطرائق التعامل له، وكذلك فعلى الرجال فتح أبواب الحوار مع الشباب بمثل تلك الطرائق، أو أكثر.

ثانياً: إيجاد مادة دراسية منهجية في المرحلة الثانوية، وحشد قصص مكتوبةٍ ومحاكاة على المسرح والتلفاز وأماكن الترفيه.

ثالثاً: العمل على تكوين دورات تأهيلية وفكرية وسلوكية إلزامية لمن أقدم على الزواج، أو عانى من مشكلة زوجية، أو شارف على الطلاق، وكذلك دروات تدريبية على الشئون المنزلية.





رابعاً: يقوم رب الأسرة بجلسات حوارية أسرية دائمة مع الفتيان والفتيات حول الزواج وقضاياه وتحليله، وقص حكاياته المسموعة بلا تحفظ ولا وجل، ثم محاولة استنباط العظات والعبر.

خامساً: أن يقوم العلماءُ الأفاضلُ الذين تثقفوا على فلسفة بناء العقل وتكوينه، وأبحروا في العلم الشرعي بإعداد برامج للدورات التدريبية، وليملؤوا البرامج الإعلامية.

سادساً: أن تكونَ الحياةُ الزوجيةُ والأسريةُ هاجس المعلمين والمعلمات للترغيب بالحياة، وطرح موجباتها، وطرائق إصلاح سلبياتها.



بين الفرد الصالح والمواطـن الصالح



بين الفرد الصالح والمواطن الصالح:

تختلف الأهداف التربوية بين الأمم والشعوب؛ فهناك من يسعى جاهداً لتربية تقوم على صلاح الذاتية الفردية، وهناك من يولي الأهمية لتلاحم المجتمع، وتلاحم الوطن.

فهل هناك تعارض بين الاتجاهين؛ بين صلاح الفرد وتنشئته تنشئة المواطن الصالح أم هناك توافقٌ واختلاف؟ ولعل الأهداف تتكشف من خلال الطرح، فالفرد الصالح هو الذي يعتمد على ذاته، وهو المسؤول الأول بعد مرحلة الطفولة عن تكوين بنيته الذاتية والسلوكية، وعن صلاحه لذاته وصلاحه في التركيبة الاجتماعية، وعن تواصله الرباني، فتربية الأولى تهدف إلى تكون ذهني تحمله المسئولية الذاتية والمسؤوليات الأخرى، وتصحب بممارسة عملية بما يتلاءم مع قدراته، والتربية التي هاجسها الفرد الصالح تغرس فيه بنية عقلية قابلة للتأمل والحوار والجدل، ومن ثم الإقناع، ثم التحول إلى التغيير والتطور، فله الاختيار المبني على المسئولية الذاتية، فهو يقود ذاته بقدراته التي توازن بين العقلانية والرغبات النفسية، وتبني فيه القدرة على التفاعل في التكوين الاجتماعي والكوني، فالفرد بنية متفاعلة، بل فاعلة ومؤثرة ببرهان وبوسيلة سلوكية متوازنة تنمي علاقة البذل والعطاء، وتثبت أواصر الحب مع الآخرين، فتنغرس علاقة الحب معهم، ويتجسد التوازن، فالحب يقوم على تبادل المنفعة، ولم نسمع بحب وجداني قام من جانب واحد إلا الشاذ الذي لا حكم له، فينميه التبادل السلوكي، والتبادل المنفعي.

إذن فالفرد الصالح يحب، ويملك عناصر الجذب للحب، ليس لجنسه البشري فحسب، بل حتى للحيوان، ويتجاوز ذلك للجمادات الأخرى، وللطبيعة بأسرها، وللآلة التي يعمل بها ولها، بل للمؤسسة التي ينتمي إليها، ويتواصل هذا الجو المشحون بالحب والتبادل الخيري إلى حب المجتمع والوطن.

إذن فالفرد الصالح يحمل عقلاً صالحاً، وسلوكاً صالحاً، وعملاً مبدعاً، وعلاقات شمولية، ونظرة لا تخضع للأنا، ولكن لا تلغيها، وإنما تتفاعل مع تكوينات الكون، فهو يحترم إنسانية الإنسان، ويرفق بالحيوان، ويقدر تقلبات الزمان، ويتأمل في مجريات الحياة، ويمتلك فكراً متوازناً بيّناً يستشرف به المستقبل وأحداثه. كل ذلك يدفعه إلى التأمل في تدبير الكون ومصير الحياة، ويتأمل في خالق هذا الكون ومدبره، ثم يتأمل حياة الانصاف والجزاء والعقاب؛ حياة نتائج المحاسبة.

كل ذلك مدعاة للتوازن في سلوكياته وفكره وأعماله، ورغباته، ورغبات الآخرين. أما المواطن الصالح، ففيه بعض اختلاف، فلو أخذنا دلالة الموصوف والوصف لكان في ذلك تقييد وحصر، فالهدف التربوي أن



يكون موالياً للوطن، وموالياً للمجتمع، وفي هذا خير، لكنه يغض الطرف عن مسؤولية الفرد الذاتية والتربية والعملية التي تنمي فيه الحياة العملية التي تدفعه للإنتاج والبذل والإبداع، فالمطلوب من التربية التي تحصر هدفها في تكوين المواطن الصالح تنحصر في تعاونه مع الآخرين، بل ربما يعتمد عليهم الأمر الذي يؤدي إلى الاتكالية والجمود الذاتي، ويلتقي الفرد الصالح والمواطن الصالح على التعاون على البر والتقوى﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[1]، وتربية الفرد الصالح هو هاجس الأديان السماوية، فالله سبحانه وتعالى سن في كتبه، وعلى لسان رسله – عليهم أفضل الصلاة والسلام – الجزاء والعقاب الفردي، فكلٌ يأتي يوم القيامة فرداً، يحاسب على أعماله الاختيارية، والتربية للمواطن الصالح تستلهم مقولة " الموت مع الجماعة رحمة " وهذا خطأ شائع أو تسلية كاذبة، فالرسل جاءوا أفراداً ليصلحوا جماعات، ثم إن كل فرد يشعر بمأساته الذاتية، وينسى ما حوله من حالك المآسي على الآخرين من شدة الهول، ويوم القيامة يأتي الناس عراة، ولا من راءٍ للعورات أو متلبس بالحياء، إن الأمر أكبر من ذلك كما هو معنى الحديث الشريف.

ونحن لو وقفنا عند محاسبة الأفراد إدارياً أو اجتماعياً أو تعليمياً محاسبة فردية لكان في ذلك صلاح إدارتنا، فيحقق الإصلاح الإداري والمالي ويحقق الأمن الحياتي، فهو صلاح للفرد والمجتمع، بل يطور الهياكل الإدارية بتعاون الأفراد الصالحين.

وتجربتنا في تربية المواطن الصالح تمخضت عن إحالة الفشل إلى الآخرين، وإيجاد المعاذير التي يحملها مجتمعه، فالكلية أو الأستاذ هو سبب رسوب الطالب، والوالدان هما عرقلة في مسيرة دراسته، والمرور هو العائق الدائم أمام الحضور المبكر للدوام، والمجتمع الإداري من حوله هو سبب الفساد الإداري، وهو سبب البطالة المقنعة، وهو يحجبه عن الإبداع، وحمل الأمانة، والتفاني في العمل.

فإذا أردنا أن نطور مجتمعنا فلْنَبْنِ هياكل تربوية واجتماعية وأسرية تنمي ذهنية فردية صالحة، وتربية عملية قوية للفرد، ونتجنب تربية الاتكالية، وليتمثل كل فرد بقول الشاعر:

نفس عصام سودت عصام وعلمته الكر والإقدام

وعزيمة عصام هذه نفتقدها عند الكثير من الشباب حتى المتخرج من الجامعات، فهو يخضع لتربية متهاونة، وهو لم يكتسب منهجية محورية، لذا يتأثر بالمجتمع؛ فيحجم عن تطوير ثقافته، وإذا انخرط في الحياة

(١) سورة المائدة، آية: ٢.





العملية، وانضم إلى بيئة غير مبالية لم يحاول الإصلاح بل يصبح غير مبال، وإن دخل ضمن شريحة ذات فساد إداري استمرأ ذلك، وتعامل معه، والعذر أن المجتمع أجبره.

فهل لنا من كل فرد أن يعمل لصالح ذاته وصلاح أفراد أسرته ومجتمعه؟ والأسرة تعمل لصلاح أفرادها، وهل لنا من مجتمع يبني هياكل تهدف إلى بناء الفرد الصالح؟ وهل لنا بمؤسسات حكومية تبني منهجية وتشيد خططاً تنتج فرداً صالحاً؟ نسأل الله أن يرينا الحق حقاً، ويرزقنا اتباعه.





البيئــة والتدمــير



البيئة والتدمير:

إن الربيع الممتد بجماله وأريجه في صحرائنا يختال خضرةً، ويتشكل لوحاتٍ جمالية فنية، ويتلون ازهاراً صفراء وبيضاء وعنابية تموجُ بها الرياض والشعاب، ويفوح عبير أشجارها من القيصوم والشيح والجثاث والعاذر، إن الخمائل الربيعية اجتذبت أهل الجزيرة، فتراهم بين رياضها، وفي بطون أوديتها، وفوق تلالها، وتحت ظلالِ أدواحِها، وقد تكحلت عيونهم بمناظر خلابة، وطبيعة رائعة متعددة الأشكال. وتتماوج نفوسهم بهجةً ووجوههم نضرة وعيونهم ناظرة إلى تلك الحدائق الغنّاء، وتبسمت ثغورهم بنفحات النسمات الهوائية الرقيقة.

ومع هذا العطاء للطبيعة، فقد تخلى الإنسان عن إنسانيته نحو الطبيعة، فالطبيعة مشاركة إنسانية؛ فلا قيمة لها إلا بالإنسان، لكن الإنسان فتاكٌ بها، مدمر لها، جاحدٌ لعطائها، قوي كالصخر في مواجهة رقتها وليونتها.

فالكثير يفتقد الوعيَ بأهمية الجمال الطبيعي، والأكثر ميلُ الأكثرية إلى عدم المبالاة والاتكالية والتكاسل لجمع المخلفات، وعدم المبالاة بتحطيم النباتات.

فالناظرُ إلى تعامل الإنسان مع هذه اللوحات الجمالية، ومع الأشجار الرائعة، ومع الظلال الوارفة يصاب بالروع والفزع من سطوة الإنسان؛ فالأشجار تتعلق بها رقائق البلاستيك، وتغطي أغصانها، فتحجب مناظرها، وتُقبح صورها، وتكتم أنفاسها، وتحول بينها وبين الضوء والهواء، فتذوي، وتذبل. وإذا صوبت بصرك إلى الظلال رأيت مخلفات قذرة متناثرة، وتأذيت من رائحة كريهة تفوح من هنا وهناك، فهذه في ظلالٍ وهذه فوق أشجار، وهذه مرتكز على أعضاد الدوح الظليل. اختلف لون الطبيعة، واختل توازنها.

والذي يعبرُ بين الأشجار، ويُذهل من الفعل البشري المدمر ذلك المنشار الفاتك الذي يقتلع الشجرة من قاعدتها، فتهوى دوحتها الكبيرة، إنه إرهاب البيئة. إنه عمل غير مسؤول، وغاية في السوء. كل ذلك الغول الشجري يستوطن الأودية في مناطق المملكة، فحيثما وليت وجهك ترى جذوع الأشجار التي عمرت سنيناً، لكن ذلك العمر الزمني يباع بدريهمات، ويستلذ به أصحاب المزاج في سويعات، إن الاحتطاب ليس ضرورة، وإنما هو ترفٌ ولهو وتبذير، إنه الإسراف الذي نهى عنه ربُ الكون وخالقهُ ومدبرهُ ومجبيهُ ومسقيه.





إن الحاطبين الذين تعبرُ مركباتهم مملوءة بالحطب المفصل بالمنشار الفاتك يمرون على مراكز المجتمع، ولا من سائل، ولا من متدبر، ولا من معاقب لهم فمن أين أتت هذه الأشجار؟ وكيف جُمعت؟ إنها عربات نعوش الشجر، إنها نعوش البيئة تحملها قلوبٌ لا تلين، وعقولٌ لا تتأمل، وضمائر لا تؤنب، على مرأى من مجتمع لا يبالي، ولا يتساءل، ولم يكن حارساً على الطبيعة الجميلة، بل يدفع الجائزة لأولئك الحائزين على الشجر بدفع الأثمان الباهظة، وليتها كانت الرسوم بدل الأثمان.

إن المركبات والعربات والجرافات والخلاطات عواملُ هدمٍ وتدمير؛ إنها العداوة للبيئة، إنها الحرب على البيئة، بل هي الحرب الحديدية ضد الطبيعة الرقيقة التي لا تحمل سلاحاً، بل تحمل سلاماً، فلو جبت الفيافي والبيد وتأملت آثار وطرق تلك العربات وما يماثلها لوجدتها جرداء لا تنبت عشباً ولا شجراً، بل تحصد النباتات، وتعدم أصولها. إن العربات تلك خرساءُ لكن الجاني هو الإنسان الذي لم يفكر ملياً كيف يقضي على البيئة بتلك الآلات، فمن الحبِّ ما قتل.

تلك الآلات التي دمرت الجبال في مكة المكرمة، والتّلال الصخرية في الرياض، وكذلك دمرت الأودية في الطائف، وهكذا تتواصل في الباحة وأبها ونجران وجازان، وقد فتكت وعبثت بأودية الشمال والتهمت حصباءها، وهزت جبالها صاعقة. حتى الأنظمة التي تحتم إصلاح ما أفسده الإنسان محجوبة عن التطبيق، فولاة الأمر وضعوا نظاماً بإعادة الطبيعة إلى جمالها ما أمكن، غيرُ أنك ترى الحفرَ العميقة والتلال الطويلة والتدمير البيئي بكل اشكاله بعد رحيل الإنسان عنها بسنوات.

إنها حربٌ ضد الطبيعة متوازية مع الحروب بين القوى الكبرى والدول الفقيرة الضعيفة، إنها حرب تهلك الحرث والنسل، إنها حربُ العقوق ضد أمن الأرض والطبيعة.

إن المتنزهين بمركباتهم الصغيرة والكبيرة لا يعبرون درباً واحدة، وإنما يمخرون بعرباتهم كلَّ طريق سهلاً أو وعراً، مُنبتاً أو قريباً من الإنبات، فأنت تتألم حين ترى الأعشاب والورود والأزهار صرعى تحت وطأة الإطارات، وذابلةً في تلك الممرات المتوازية، فلو كان درباً واحداً لكفى.

إن المصدات ورش القار على التلال والكثبان لا يمنع رحيلها وارتحالها وقد أثبت الواقع ضعف تأثيرها، فلا هي منعت عبور التيار، ولا هي سمحت بنبت الأشجار، فكان التدمير في التعمير.



لقد قارنت بين روضة خريم والفياض من حولها فوجدتُ جمالَ الخضرة ونضارتها دخل الحواجز، والتدمير لها في الفياض الخارجية المجاورة لها فاقنعني ذلك الواقعُ بصواب فكرةِ الحمى، ووضعَ الحواجز الخرسانية، وتمنيت تكاثرها وزيادة عددها، فبارك الله لمن قام بتلك الحواجز، وبمن يزيد عددها، ويحمي متنزهاتها من عبثنا وعدم مبالاتنا.

إن الأمر يدخل في باب التصحر، بل من أسبابه الرئيسة، فهل لنا من دراسات عاجلةٍ لتحديد المشكلة، وطرح الحلول وهيئة تباشر العملَ، وتعملُ على الالتزام بحرمة البيئة والالتزام بالأنظمة الداخلية والخارجية؟





المراكز الصيفيـة



المراكز الصيفية:

المراكز الصيفية استقطبت الشباب، واستحوذت على رغباتهم، فمالوا إليها، وعلمتهم أموراً خيرية كثيرة، وربطتهم بالروح الجماعية في رحلاتهم وثقفتهم فكراً وسلوكاً، وانتشلتهم من التهاون وعدم المبالاة، وصقلت أخلاقهم، ورغبتهم في العلم متواصلاً بالعمل، واجتذبتهم عن الفراغ وأصحاب السوء، ومن ثمَّ الأعمال الشريرة، وقل أن تجد فيها إفراطاً أو تفريطاً، وإنما يعمها الاعتدال، والتسامح والإخاء، وهي تنأى عن الخلاف، وتتجه للإقناع بالقيم السامية التي تدعو للأعمال الخيرة، وتبني السلوكيات المستقيمة، وتحيي روح التواصل بين الأجيال، وكنت أشرف على عدد من المراكز الصيفية، والمخيمات الشبابية، ومازلت أتذكر أولئك الشباب وأراهم اليوم يتسمون بسلوكيات اجتماعية لأسرهم ولأقربائهم ولمجتمعهم، ولكني أعترف أني حاولت أن أدخل الأعمال الحرفية والمهنية، لكني فشلت لعدم القدرة المالية، ولعدم تواجد المدربين المهنيين.

وحين نلقي نظرة متبصرة إلى شبابنا فإننا نجد أن الكثير من الشباب يفتقدون العزيمة العملية، والممارسة المهنية التي يحتاجون إليها في مراحل أعمارهم. وتتجلى عند الكثير من الشباب والشابات عدم المبالاة والتهاون والاتكالية، ونحن نريد شباباً وبنات عاملين منتجين، لا مستهلكين، ولا متهاونين.

ومن هنا فإني أدعو إلى إيجاد التربية العملية في الأسرة، وفي المراكز الاجتماعية، وفي المناهج الدراسية الإلزامية. ومن هذا المنطلق فإن المراكز الصيفية آلية ووسيلة لتنمية روح العمل والتدريب إذا وظفنا تلك المراكز توظيفاً مهنياً وتدريبياً.

فالإجازة مقبلة، وتعداد أيام الفراغ وساعاته عند البنين والبنات ستتكاثف، وسيكون الملل والضجر، وستطفو المشاكل، فعلينا أن نوجد مسارب لاستقطاب الشباب؛ فالفراغ والشباب مفسدة للمرء أي مفسدة.

أليس من الواجب الوطني تعويدهم وتنشئتهم بالتدريب المهني في هذه المراكز المتناثرة، واستثمارُ هذا الزمن الذي يذهب هدراً إن لم يوظف توظيفاً صحيحاً؟ ولهذا العامل الجوهري المؤثر فإني أدعو معالي وزير التربية والتعليم إلى صبغ جوانب كثيرة من المراكز الصيفية بالاتجاه إلى المهن والتدريب عليها بذات المنهجية السالفة، لكن بزيادة وظيفتها المهنية للتدريب والتعليم على المهن الضرورية لكل فرد من رجال ونساء، ولا نقتصر على تعليم الحاسب الآلي مع ضرورته، لكن له مراكزه الخاصة، وعليه إقبال، ويحتاج إلى زمن أطول

من المراكز الصيفية، وإنما نشجع المهن اليدوية القريبة التناول من كهربائية ومواد صحية، والاطلاع على نماذج للمركبات وأجهزتها. وهذا يحتاج إلى توفير الآليات الضرورية لها، ومنها:

أولاً: توفير الهياكل والأدوات للمهن الضرورية، والنماذج القابلة للتدريب للمركبات، وتأمين هياكل لمواد الكهرباء وتوصيلاتها، وهياكل مماثلة لما في البيوت من المواد الصحية الظاهرة التركيب. وهذه تحتاج إلى ميزانية قادرة على تأمين تلك المستلزمات في مقار المراكز الصيفية.

ثانياً: استقطاب المدربين المهرة الذين لهم قدرات على تعليم المهن، والتأثير على استمالة الشباب، ولابد من تشجيعهم مادياً، وحبذا لو عملت الوزارة على تدريب عدد من المعلمين والمدرسين، وكذلك لو استعانت بالخبرات العسكرية، فإذا لم يكن فلتتعاقد مع مدربين لفترة محدودة.

ثالثاً: إن الآلات المهنية يستفاد منها للمدارس، ولو فُتح التدريب بأجر رمزي تقوم به المدارس لكان في ذلك نشر للمعرفة المهنية والتربية العملية، وكذلك من الممكن حفظ هذه الآلات لأعوام عديدة، ومراكز متكررة.

رابعاً: إن هذه المهن قابلة للعمل في مراكز البنات أيضاً، فهي ليست من الصعوبة في شيء، بل إنها ملازمة لعمل ربات البيوت.

خامساً: تُفتح مراكز نسائية مماثلة، وتزاد عليها المهن الخاصة بالنساء كالحياكة المبسطة، والتدريب على الأعمال المنزلية، والتوجيه إلى سلوكيات الحياة الزوجية والأسرية.

إن هذه المراكز ليست من مسؤولية وزارة التربية والتعليم فحسب، بل تشترك في ذلك وزارة العمل، ووزارة الشؤون الاجتماعية، والجمعيات الخيرية، وصندوق القوى البشرية، والجامعات، فكل ذلك يؤدي إلى احتضان الشباب والبنات، ويزرع حب العمل وإنجازه، ويفتح باب الإبداع، وينقذ المجتمع من أمراضه الاجتماعية.



الإعــلام والشبـاب



الإعلام والشباب:

– الإعلام والشباب كلمتان عظيمتان في مدلولهما، يستشعرهما المفكر والسياسي، ويُعنى بها سائر المفكرين، ويتأملهما المصلحون، ويسعى لصلاحهما الاجتماعيون. إنها الرياح العاتية، فتارة تعصف بهما رياح السياسة والفكر والاقتصاد، وتارة هما الأمواج، وتارة تزحف الأمواج عليهما؛ إنهما حراك المجتمعات، وإنهما بناة المجتمعات، وإنهما عماد الساسة والدول، وإنهما يقوضان الدول، ويصنعان السياسة.

كلٌّ منهما غالي الأثمان، وكلٌّ من الشباب والإعلام عالي التكاليف، وكل منهما أو هما معاً يرفعان الأمم، فالمعالي مهرها غال.

إن قوة الأمم المعاصرة من قوتهما، وضعفها من ضعفهما، وإن أمماً معاصرة أدركت دورهما، وخططت وبذلت للشباب والإعلام، فأنفقت الأموال الطائلة على بناء الهياكل المنهجية لهما، ووظفت قدراتها لهما، والنتيجة أن تعالت وتسامقت تلك الدول إلى المعالي في علمها، وبناء فكرها، وبناء تقنيتها، وبناء اقتصادها، وبناء إعلامها، وبناء شبابها، فكانت تلك الدول هي المهيمنة في عالمنا المعاصر.

– إن الشباب يبنى للاستثمار والإعمار، إن الشباب كثيف الاستهلاك، لكنه ضخم العطاء، لا تقدر قدراته بمال، ولا يحصر جهده في مجال، إنهم بناة الإدارة، إنهم العمال المهرة، إنهم قادة التقنية، إنهم أهل الإقدام، وإنهم مهندسو الأمة، وإنهم قادة الحراك الشعبي والاجتماعي، إن صلاحهم صلاح الأمم، وفسادهم فساد الأمم، هم الجيوش وهم روح الجيوش؛ فإذا أردت أن تحكم على أمةٍ فانظر إلى شبابها وعقله وعلمه وعزيمته ومقدرته وتضافره، وحبه الوطني، فإنك لا مناص من حكمك الواقعي.

– الإعلام هو قوة العالم المعاصر القوي بتقنيته وباقتصاده، وبسلاحه المدمر، لكن الإعلام أقوى من قوة الدمار الكامل، يموج بعقول الأمم، ويعصف بوجدانهم. الإعلام كالهواء، لا موانع، ولا سدود، قوة الإعلام وتنافسه هي المهيمنة.

– الإعلام يوظفه الحكمة والبرهان بعدالة تارة، وبتلوين تارة أخرى، الإعلام مصبوغ بأصباغ الجمال الحقيقية والطبيعية، أو الطبعية أحياناً، وبتشكلاته الطارئة بفعل البشر أحيانا، الإعلام يوهم كل الإيهام، ويغرس الشك والشكوك مصانع الإعلام، إن لم تكن مصانع العقول ومفاتن القلوب.

– من حق هاتين القوتين العظيمتين المؤثرتين (الشباب والإعلام) أن تكون لهما مراكز أبحاث وبيوت خبرة، لا آراء انطباعية، ولا فردية، ولا جماعية جزئية. إنما هناك استبانات شمولية، ومراكز تعددية متنوعة



المناهج ومختلفة الوسائل والطرائق، تقوم على نظريات فكرية نابعة من الواقع الحي الذي يحرك القطبين أو أحدهما في الوطن، لا مستوردة من الخارج، ولا مفصلة أو محاكة لغير الوطن.

ومن هنا فإني أحصر نظرتي الواقعية والانطباعية معاً في صورة الإعلام في بلادنا وعلاقته بشبابنا بالآتي:

أولاً: كلُّ شباب يميل إلى الجاذبية، فأين جذور الجذب والإمتاع المتشابكة مع المنفعة في إعلامنا؟ فلو قارنا البرامج الترفيهية بالبرامج المماثلة في الدول الأخرى لوجدنا قوة الإخراج، وجماعية العمل الترفيهي وواقعيته، وقوة الجذب والتشويق عندنا تكمن في الملاعب الرياضية، لأنها جماعية وواقعية، وكذلك في بعض البرامج الحوارية الإذاعية التي تدور حول قضيةٍ واقعية، مع أنها تستهوي الفتيات أكثر من الفتيان، وهي تستقطب أعداداً قليلة من كم هائل.

ثانياً: المصداقية في الطرح والشفافية الواقعية، وليس لإعلامنا القدرة على تصوير المشكلة، والمقدرة على إيجاد الحلول الذهنية والعملية، ولا نملك المقدرة على إيجاد المنهجية الإعلامية لطرح الحلول وملامستها للواقع.

ثالثاً: الزمان الإعلامي وتلازمه مع أوقات الشباب، وغياب المكان الإعلامي أيضاً، فكثير من الطرح الإعلامي الجميل في الإذاعة والتلفاز يتأتى في وقت ابتعاد الشباب عن الاستماع والرؤية؛ كأن تأتي البرامج ضحىً والشباب يدرسون، أو يعملون، والكسالى منهم نائمون، ونحن نفتقد الأمكنة الإعلامية كثيراً التي تسهل تدفق أبناء المجتمع إليها بل (نفتقد الإعلام الذي يقام في الأمكنة الإعلامية).

رابعاً: كل الطروح الدينية والفكرية والاجتماعية والسلوكية العملية الإعلامية تحتاج إلى تعددية متنوعة، وإلى منهجية وآليات جديدة مدمجة بأنواع أخرى تذوب فيها الجدية، أو لنقل تختفي خلفها الجدية، وتختفي النظرية خلف كواليس العمل. إن العملية تحتاج إلى أموال غزيرة، وبيوت خبرة فنية سامية الأهداف، عالية التجربة.

خامساً: نفتقد الدراسات التقييمية المتابعة، والمراقبة التي تقوم على الإحصاء والاستبيان لتشير دلائلها على الكم المتابع من الشباب، والكم المتأخر منهم أيضاً.



سادساً: التركيز على الواقع واستشراف المستقبل؛ فإننا نبني ليس لحاضرنا القريب فحسب، وإنما نتجاوزه إلى المستقبل للعمر البشري للشباب، وللعمر الوطني الممتد، وتحقيقه لتطلعات الأمة، ومتطلبات الوطن.



المهنة
والمراكز الصيفية



المهنة والمراكز الصيفية، همسة يراد بها خير:

صاحب المعالي وزير التربية والتعليم، سدد الله خطاك، وألهمك الصواب لخير مجتمعنا السعودي – حماه الله – وبعد..

فإن الدولة شرفتك بحمل أمانة شباب الأمة في هذا الوطن الغالي، والشباب هم عماد المجتمع، والدولة رعاها الله من بداية تكوينها على يد القائد الباني الملك عبد العزيز طيب الله ثراه قد جعلت من كبرى مسؤولياتها رعاية شباب الأمة، وقد أوكلتِ الأمانة لعباقرة الفكر في هذا الوطن، وأشهرهم قائد مسيرة التعليم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز — أيده الله — فكان رائدها وربّانها، ومازالت آثاره – رحمه الله – تقود سفينتها في أمواج الفكر العالمية.

ولا شك أن أبناء الأمة العربية والإسلامية لهم آمالهم وطموحاتهم وأفكارهم وإنجازهم لصالح بناء الأمة، فكم من أفكار تجسدت بالتطبيق في ميدان العمل، وظهرت أهمية الفكرة! لكن عالمنا الثالث غير منهجي التفكير العملي، وغير متواصل الفكر؛ فهو يبدع، ولا يدرك أن لكل شيء تطوره وظروفه التي تتطور بحسب الفكر والزمان والمكان، فلا يواصل استثمار الصالح، واستبعاد ما يجب استبعاده، وإنما تسقط الفكرة كاملة بمنهجيتها، فيحكم عليها بالموت، مع أن المناهج الإدارية والنتائج الإنسانية للتاريخ ومسارب الحياة، وتكور المجتمعات تحتم وجود هياكل منهجية، غير أن الإصلاح والتوجيه والتطوير يصحبها بفكر ثاقب، ورصد للسالب والموجب، كما يتجسد عند الأمم المتقدمة، أما الأمم الأخرى فإنها تنهك قواها في تجارب جديدة وجدل عقيم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً والصالح صالحاً، ويرزقنا الاتباع بالعمل الصالح.

وإنني أقبس مثلاً قريباً يهم مجتمع بلادنا، فمثلاً طرأ على المجتمع بسبب الطفرة فراغ، وجِدَةٌ كادت أن تؤدي إلى بعض الانحراف عند الشباب للفراغ الفكري، فجاءت فكرة نيرة؛ تلك هي المراكز الصيفية التي كانت غايتها بناء الفكر عند الشباب وحسب، ونجحت في ذلك أيما نجاح، فلما تشبع المجتمع بالفكر رأى البعض انتهاء المهمة، ولم يفكر في استثمار وعاء المنهج لما يطرأ في المجتمع، وهنا يجب أن أنوه بإيجابية نجاح الفكرة، وكذلك أشير إلى السلبيات لفكرة (المراكز الصيفية)، تلك التي تتمثل في عدم التوازن بين الفكر والعمل في بداية الأمر، حيث رجح الفكر وتلاشى العمل، لكن نجاحها في احتضان الشباب وحصانتهم بالفكر، أو هي كانت بمثابة الحواجز التي تقف في وجه بعض الانحرافات أمر مشهود.

أليس من الجدير بنا — ولا سيما وزارة التربية والتعليم — أن توظف هذه العملية الناجحة لوظيفة أخرى، ألم تدرس متطلبات الشباب، وما يحتاجه في هذه المرحلة بعد تطور الفكر، فيكون الفكر متواصلاً، والتطور متناسباً؟ فأقول: ألم نعان من البطالة والخمول والتكاسل عند شريحة من الشباب؟ ألم نلمح الاتكالية، وفقدان العزيمة عند

الشباب، وكذلك فقدان التربية.. العملية المهنية وثقافتها في الكهرباء وسائر الحرف والمهن؟ فحبذا يا معالي الوزير لو وجهتم المراكز الصيفية للأعمال الحرفية والمهنية، ونجعلها ورشة عمل لنغرس منهجية العمل، ولكي نعلم أولادنا أعمالاً تفيدهم في منازلهم، وفي وسائل مواصلاتهم، وفي بناء دورهم، وعطل عرباتهم، فإن يعملوا بها اجتنبوا الابتزاز والتدليس، وكانوا على وعي بما يدور في حياتهم اليومية، بل نغرس حب العمل في شباب الأمة، ويكون هذا جزءاً من إعدادهم للحياة، ومن هنا تكون فكرة المراكز الصيفية أشبه بوسيلة إعلامية توظف أنى شاء صاحبها.

فلولا جعلنا برامج مهنية للطلاب في المراكز الصيفية، أليس في ذلك استقطاب لشبابنا ينتشلهم من مزالق الفراغ، وأنت تدرك أن مزالق الشباب والفراغ والجدة والعدم معاً مفسدة للمرء أي مفسدة؟ والموضوع لابد أن يخضع لتنظيم زمني يتناسب مع اليوم ومدة المركز، فلو وضعنا أسبوعين لمعرفة الكهرباء، وأسبوعين للمواد الصحية، ومثل ذلك لإصلاح السيارات، أو لنقل أي مهنة يحتاجها الوطن أو الفرد، فإن ذلك سيعود بالنفع للفرد والجماعة.

ونحن لا نطلب كلفة كثيرة، أو دراسة عميقة، إنما تكون مثيلة للمراكز الأولى. فأدوات الكهرباء لا تتجاوز ألف ريال، وأدوات المواد الصحية قريبة من هذا، والاستعانة بالحرفيين خارج وقت الدوام الرسمي سهل ميسور.

ونتمنى أن يصحبها توعية نظرية بالعمل، ومجالات المهن، وفائدة الإنجاز، والعزيمة الصادقة، فالعزيمة تولد الطريق للعمل، ويؤخذ الطلاب بزيارات للمشاريع العملية في كل بلد، وكذلك للمدن الصناعية، ولو مارسوا تجارة خفيفة في أسواق الخضار لا مانع.

أتوقع بإذن الله أن هذه البرامج لو نجحت تؤهل عدداً كبيراً من المتسربين من المدارس للعمل، أو تحبب العمل إليهم، وكذلك تسهم الحركة في بناء منهجية عملية ووعي بالعمل المبكر في نفوس شبابنا، فحيَّ على الفلاح، وما الفلاح إلا العمل البشري؛ فعمل المسلم كله عباده، وما أفضل الإيمان والعمل إذا اجتمعا.

والوزارة بهذا تبني الفرد الذي يعتمد على ذاته بعمله، ويدرك ألا تقدم، ولا مكاسب، ولا حياة بلا عمل، وتجنبه الاتكالية.

ولعل الفكرة تكون نواة لإدخال حصة منهجية مهنية في سائر المدارس إن شاء الله.

التلاحم بين الأجيال



التلاحم بين الأجيال:

التواصل بين الأجيال فيه تواصل ثقافي، وتوارث فكري وسلوكي، وينقل التجارب من جيل إلى جيل، ويعمل على التلاقح الفكري، ويولد الحوار، ويغرس التجارب، ويثريها، ويطور الأجيال القديمة، ويصيرها تواكب المعاصرة، ويحفظ التوازن للأجيال الصغرى، وهو ينمي روح الحوار والجدل. فالأمم تتوارث عاداتها وتقاليدها وسلوكياتها، وأنماط حياتها، وعصارة تجاربها وثراء فكرها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتواصل بين الأجيال؛ فالعادات والتقاليد تصقل بالحراك الاجتماعي الذهني والمعرفي والسلوكي واستصحاب التجارب.

أما واقعنا اليوم فقد تناقص فيه التواصل بين الأجيال، فالأسرة لا يمكث بعضها مع بعض إلا يسيراً، وإن تواجدوا في البيت، واجتمعوا، فالتلفاز ومشاهده يستحوذ عليهم، ثم كل منهم في عجلة من أمره، فاستذكار الدروس حجة، واستخدام الهواتف شاغلٌ، ومحادثات الأصحاب الهاتفية تصل إلى قاعات الطعام، وقاعات الاجتماع، والأب مشغول بأعماله التجارية، ثم بجولاته الخارجية، أو هو متنقل بين الاستراحات وعدد من الارتباطات؛ فتارة مع زملاء العمل، وتارة مع زملاء الدراسة، وتارة مع الأقارب، ويتوازى في ذلك الأجيال كلٌ مع جيله، فالنزعة والرغبة إلى في التفاف الأجيال حول بعضهم، ومن ثم نفتقد الترابط في هذه الجلسات بين مراحل تلك الأجيال.

ويقترب من التجمعات الذكورية والتجمعات النسائية، وإن كانت تضمُ في مجموعها الأجيال من الأهل والأقارب، غير أن الانعزالية تتشكل داخل تلك التكوينات؛ فالأمهات يجمعهن مجلساً منفرداً، والبنات يتحلقن في مكان منعزل، والأحاديث تستحوذ عليها الموضة، وملاعبة الأطفال ومناغتهم، وإن ذهبن إلى التغذية وفن المطبخ أحياناً، أما المشاكل والقضايا فإنها في منأى عن الحوار والنقاش الجماعي، وتحفها السرية والمحادثة الجانبية، إذن فلا نقل للتجارب، ولا تواصل حقيقي بين الأجيال.

ونتيجة لذلك اختفى سلاطين المجالس الذين يديرون القصص والحكايات، واختفى الراوي والقاص الذي يجمع بين القص والشعر، وكذلك اختفت حكايات الجدات وكبار النساء، واختفى قصص الأساطير والحكايات، وقصص السيّر للمشهورين من الأقارب، ومن العشيرة، ومن القرى، ومن المدن. وتضاءلت المجالس، فتغلبت عليها الأحاديث الجانبية الهامة.

إن هذا التباعد الذي يصل مرحلة الانفصال لم ينبع عن جفاء ولا عداوة بين الأجيال؛ إنما فرض هذا التكوين الاجتماعي المعاصر العوامل المؤثرة المعاصرة، ففرضت هذا الانفصام في غفلةٍ من الرقابة الاجتماعية،

وتباطؤ من الدراسات المتابعة؛ إذن فالأمر أحوج ما يكون إلى مراكز اجتماعية توجد الحلول المقنعة لأطياف المجتمع رجالاً ونساءً، شباباً وفتيات، فنقترح المراكز التي تستقطب الشرائح الاجتماعية، وينظر إلى العوامل المكانية والظروف الزمانية، والمنهجية القادرة على التفاعل.

ولعل تسخير ظروف وآليات جديدة تناسب العصر والحراك الاجتماعي تجمع شتات الأجيال، وتعيدُ الروابط الاجتماعية، وتحافظ على التركيبة الأسرية والاجتماعية، ومن تلك الآليات:

أولاً: بناءُ مراكز صغيرة في الفضاءات بين المنازل المتقاربة، يجتمع فيها كبار الحي مع سائر الأجيال بنمطية عفوية، لكنها تحمل في طياتها عناصر الجذب والتشويق، ومن ثم التأثير.

ثانياً: وضع برامج للرحلات الترفيهية والبرية والبحرية يكون التعاون فيها بين الأفراد، فهم القائمون بالخدمات بمنأى عن الخدمات الخارجية.

ثالثاً: الالتزام بالحوار الأسري، واستجلاب موضوعاته من الواقع الاجتماعي المحيط، ومناقشة الصالح منها والطالح.

رابعاً: توظيف اللقاءات، أو بعضها في الاستراحات، أو الولائم العائلية للتفاعل بين الأجيال رجالاً ونساءً.

خامساً: إيجاد برامج إعلامية تبارك الأفكار الاجتماعية النيرة، وتدعو إليها، وتحببها، وتحث على آليات ومناهج لها، وسيكون – إن شاء الله – هناك إبداع في التخطيط والمنهجية إن رعاها مفكرو المجتمع من رجال ونساء.





الأسرة
والتربية العملية



الأسرة والتربية العملية:

الأسرة هي مصدر التربية العملية، وإن لم تكن كذلك فهي مصدر الاتكالية، فينشأ ناشئين الفتيان على ما عوده عليه أبوه.

والحياة العملية متطلب إنساني، أو هو مطلب حياتي حيواني، فالطفل يستهل حياته عاملاً، فالبكاءُ والحركة والرضاعة، وتفتق العينين، واجتذاب الهواء، ثم تتنامى معه الحركة العملية، فالمشي والمضغ، واستعمال اليد، ثم ممارسة الحياة العملية؛ ليقوم بأعماله بجهده العضلي وتفكيره الذهني، فالبداية خدماته الذاتية القادر عليها، ثم يتطور الأمر لخدمة أسرته مداعبة وممازحة، وملاعبة، ثم يتدرج التكليف ليدرك معالم الحياة عملاً وواقعاً. منهجاً وتنظيماً، فما دور الأسرة الوطنية في هذا المضمار؟

كانت الأسرة في وطننا قبل الطفرة الأولى مسرحاً عملياً تربوياً، فتحولت الأسرة بفعل الطفرة وعدم الوعي إلى مرقد تكاسلي واتكالي؛ فالأسرة تركنُ إلى الاتكالية على العاملات والعاملين، وإن لم تكن كذلك فعلى الخدمات السوقية المكلفة؛ فالعاملة عاملةٌ، والأسرة الوطنية نائمة. لا تمدُّ يداً ولا تمارسُ نشاطاً، فانعدمت المثلُ والقدوة، وانعدمت الحاجةُ إلى خدمات الطفولة والفتيان والفتيات والشباب والشابات، إننا أمام أسرة متراخيةٍ، كونت مجتمعاً متهاوناً غير مبال. فلا روح عمل، ولا عزيمة دافعة، ولا حركة نابضة، فتولد عنه الخمول العملي، والجمود الفكري، والمرض النفسي، والتكلس العضلي، ونشأ عنه بناءٌ واهٍ للإنسان في جسمه وعقله ونفسه، ومن ثم تواجد المرض السلوكي، وانعدمت التربية العملية.

ولا يدرك أبناء الأسرة رجالاً ونساءً متطلبات البيت الضرورية من الأعمال التنظيمية، ولا التجهيزات الغذائية، ولا قدرة للأسرة على الأعمال اليدوية للكهرباء وصنابير الماء، فلو انفجر مجرى ماء، أو انفلت صنبور، أو (لَيٍ) من (اللّيات) فإن الماء يواصل نزفه على مشهد من الأسرة حتى يأتي الغد بساعات العمل، مع أن المراهقين والنساء يستطيعون ذلك إذا عُلِّموا المبادئ في أسبوع واحد، واعتادوا العمل والإنجاز.

إن مرض الاتكالية وعدم المبالاة مرض اجتماعي أفرز البطالة، والبطالة المقنعة، وأفرز أفواج العمالة الوافدة المستنزفة للثروة الوطنية، والمؤثرة على التربية سلباً، فالحاجة أم الاختراع، ولا حاجة للعمل – بنظر الجاهلين – والعمالة متواجدة.



إن القوة العملية المنتجة للشباب مفقودة في مجتمعنا، فأضحى الشباب مستهلكاً لا منتجاً، فكانت خسارة المجتمع جسيمة ونتائجها كبيرة خطيرة، إنها قضية المفكرين والمربين والإعلاميين.والسؤال الذي ينطرح بقوة هو: كيف نعالج هذه المرحلة العمرية والأسرية لتكون هناك بيئة أسرية تربوية؟

ولا مناص لنا كيما نستفيق من غفوتنا، ونشفى من مرضنا هذا، وأن نتآزر على معالجة هذه القضية الاجتماعية عن أمور منها:

أولاً: الوعي الأسري بالتربية العملية، فبه ننمي الاعتماد الذاتي في كيان الطفل استهلالاً بصغائر الأمور، ومروراً بأسهلها، وتطوراً إلى أكبرها. إن الممارسة العملية وتكليف الطفل بها تدرجاً مع قدراته لا يولد معاناة للطفل في طفولته ومراهقته، بل يولد راحةً وتكويناً سلوكياً برغبة الأطفال؛ فهم ميالون للحركة، فإما أن تكون عبثية مدمرة، أو عبثية مصلحة. فهو لا ريب ممارسٌ للحركة، لا جدال في ذلك، فلماذا لا تُراقب هذه الحركة، وتوجه توجيهاً سليماً، فتكون تربية عملية صالحة بدلاً من تنشئة على تربية عملية عابثة مدمرة، يستشعر الناس من الأخيرة التبرم والضيق، وينعكس على الطفل، فهو يعمل ضائق الصدر غير متاح حتى يستكين عن العمل، ويتكاسل ويتواكل، أو ينمو عنده العمل الشرير، إذن فروح العمل موجودة، فإما أن نعمل على تنميتها، أو تطفئتها، أو توظف توظيفاً سلبياً.

ثانياً: الوعي الاجتماعي: فالمجتمع هو البيئة المنتجة لماهية الشباب، وتكوينه الذهني والسلوكي بإيجاد آليات تستهوي الطفولة والمراهقين والشباب من الجنسين تُبنى تلك الآليات متلائمة مع المتطلبات الواقعية، والتوجهات العملية المعاصرة. حتى مراكز الترفيه لابدَّ أن تراعي بناء الحياة العملية، فتنبي العزيمة، وتغرس حبَّ العمل، وليكن في زياراته ورحلاته، ومراكز الأحياء، والعلاقات الاجتماعية، والتجمعات الأسرية.

ثالثاً: تكثيف الإعلام الأسري:

فالإعلام يغزو الأسرة في حجراتها وتجمعاتها وطرقها ومعابرها في حلها وارتحالها عن طريق الاستماع والمشاهدة، أو هما معاً، وعن طريق الصحافة فلابدَّ من برامجٍ وطنيةٍ كبرى تجتذب أفراد المجتمع، ويتماشى مع واقعه.



الشباب والمسئولية



ماهية الشباب:

عرَّف العلماء الشباب بأنه "حالة نفسية مصاحبة تمر بالإنسانية، وتتميز بالحيوية، وترتبط بالقدرة على التعليم ومرونة العلاقات الإنسانية، وتحمل المسئولية [1].

والشباب مرحلة تقرر مصير الإنسان وتأثيره وفاعليته في الحياة الدنيا. يقول الدكتور البهي: " تجتازون اليوم بشبابكم مرحلة وسطى بين طفولتكم السابقة وبين اكتمالكم ورشدكم. شبابكم هو الحلقة الوسطى في حياتكم الإنسانية، وفيه يتقرر مصيركم، ويتحدد اتجاهكم من قوة وضعف ونجاح في الحياة، أو هزيمة فيها " [2].

وقال عنه الدكتور إبراهيم اللبان: " دور من أدوار العمر يمر به في أثناء تنقله بين مراحل العمر المتتالية " [3].

تلاحق الأحداث:

ومن أكبر المؤثرات في شبابنا المعاصر أن مجتمعنا اليوم أشبه بالمسرح الناجح الذي تتلاحق الأحداث فيه، وكل فكرة أو عرض له تأثيره القوي غير أن المسرح في مسرحيته الواحدة يتكاتف لهدف موحد ليقنع السامع والرائي لها، أما الحياة اليومية المعاصرة فإنها تشبه المسرح بكلّيته، وما يعرض على مر الأيام، وتوالي الليالي.

ومسرح الحياة اليومية أمام الشباب تتلاحق فيه القضايا الاجتماعية والسياسية ومشاكلها والمشكلات العالمية وأحزانها مهما بانت واتسعت الرقعة بيننا وبينها، وتعرض فيه الأهداف التربوية المتعارضة والمتضادة، وتعرض على مسرح الحياة بكثافة لا مثيل لها المتغيرات الحديثة النابعة من المادة وعظمة التقنية المعاصرة إلى جانب المشكلات الذاتية والاجتماعية والظروف الخاصة بكل بيئة، أو أسرة، ولا ننسى تلاحق المناظر اليومية ذات الجمال، وذات القيم إلى جانب المهيمنات على النفس الأمارة بالسوء ودعوتها وجذبها عن طريق ما يعرض بالسماع والرؤية والقراءة.

---

(١) الشباب، دورة ومشكلاه، ص: ٣٢.
(٢) الإسلام في حياة المسلم، ص: ٢١، الشباب دوره ومشكلاته، ص: ٣٣.
(٣) الشباب دراسات ولقاءات، احمد جمال، ص: ٧.

وأنت حينما تتدبر يوم الشباب الإلزامي تجد التربية توزعه إلى عدة مسارب وتيارات تتجاذب بقوة، وعدد من التوجيه الفكري من المعلمين، ولقاءات متكررة من الأصدقاء والأقران، وصفحة الكون التي تمر أمام عينيه في مساراته ومعابره وطرقاته ومجالس أنسه وخلواته، والاختلاف بين موارده الفكرية والثقافية من الصحافة ووسائل الإعلام والفيديو والقصص، والمفارقات بين أبناء المجتمع والأسر، وكل هذه رياح وريح وتيارات تقرع العقل والنفس، وتميل بها في عالمنا المعاصر.

إذن فالشباب في حيرة من أمره، وحالة ذهول مستمرة؛ فتارة يميل مع هذا وتارة أخرى مع ذاك؛ الأمر الذي سبب، ويسبب التياه والضياع للشباب، ويجعلهم لا يستقرون على قرار، ولا يركنون إلى ركن ثابت حيث أدى هذا الأمر في الغرب المادي إلى أزمات نفسية متلاحقة للشباب.

حار حراس التربية في معالجتها، وقد أحس الصحابة – رضي الله عنهم – بهذا الفراغ النفسي رغم محدودية المؤثرات، فقال حنظلة يحدثنا عن نفسه: " لقيني أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة؟، قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عاسفنا الأزواج والضيعات فنسينا كثيراً.

قال أبو بكر: فو الله إنا لنطيق مثل هذا.

قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخبراه فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – والذي نفسي بيده: إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم. ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وكرر هذه الكلمة ساعة وساعة ثلاث مرات " (١).

ومن هذا يتبين ضرورة تكرار الوعظ وسماعه، وليس معنى ذلك أن الإسلام يعارض التفكه والمزاج والترويض عن النفس، فهذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يقول: " إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة " قال " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمي " (٢).

---

(١) مشكلات الشباب في الإسلام، د. أسحق فرحات، ص ك ٣٠.

(٢) المرجع السابق ن ص: ٢٨.

ونحن أمام هذا وذاك ندرك أن التذكر والتذكير وحسن التغذية الفكرية منجاة، واي منجاةَ من هذا التيه. فإن الإنسان تمر أمامه آلاف الأصناف من التغذية الجسدية، ولكن فيها عناصر معدودة جداً لابد للجسم منها كالماء، فهو ضرورة حتمية يستلزم الجسم التكرار المتواصل منه، وكذلك الهواء. الأمر الذي يجعلنا نقارن التغذية الفكرية بالتغذية الجسدية فنقول:

إن الفكر لابد له من توجيه وإرشاد عن طريق الشباب، وذلك بالاستظلال بمظلة التوجيه الرباني، وإلا لماذا شرع الله الصلاة خمس مرات وسنها في أكثر الأوقات؟ ولماذا أمرنا بتكرار (الله اكبر) في الصلاة؟ كل ذلك التكرار لأن الله يعلم سلفاً أن الإنسان سينشغل بتلك الموجات الفكرية، وليقول له: أن الله أكبر من الدنيا، ومن كل وسواس.

ولأجل أن نكثف الجو بالحق والخير والجمال نقول: إن وسائل الإعلام وأهداف التربية وأهداف الأسرة ومعطيات المجتمع يجب أن تلتقي لتطفي على التفكير، ولا تكون متعارضة؛ فتؤدي إلى انفصام الشباب وانفصاله.

وعلاقة الإسلام بالشباب علاقة حميمة وطيدة الأركان، فإن الذين التحقوا بالإسلام هم صفوة الشباب من أمثال علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، ومصعب بن عمير رضي الله عنهم. والحركات الإسلامية المجددة تقوم على الشباب في كل زمان ومكان، وقيادة الجيوش والفتوح الإسلامية قامت على الشباب؛ وليس أدل على ذلك من صحوتنا الإسلامية المعاصرة التي قامت على الشباب المثقف رغم وهج الحضارة الغربية ومغرياتها؛ فانطلقت من قوة شباب الجامعات والدراسات الإسلامية والعلمية معاً، وحمل راياتها أولئك الشباب الذين ولجوا في المجتمعات الأوربية، وأدركوا فسادها، يقول ناصر سليم:"نجد أن مستقبل الإسانية رهن بطموح الشباب إلى المثل العليا" (١).

وهناك تلاحم بين الإسلام والشباب الإنساني لتوافق الأهداف وتلاحم في الإنسانية والقدرات على إصلاح الكون، وإن الإسلام يشرع البذل والعطاء، ويحقق التكافل، والشباب هو سن البذل والعطاء والتضحية، والإسلام مؤثر والشباب متأثر، والإسلام تقوم دعائمه على الانفعال الإيماني، والشباب تنبع قوته من حماسة وإقدام؛ لذا حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على توجيه الشباب؛ "لأن الشباب كان

---

(١) طريق الشباب ن ص: ٣ ن الشباب ودوره في المجتمع، ص: ٣٠.



دائماً ولا يزال – بقديم التاريخ وحديثه – الشريان النابض في الحياة والحركة الموجهة والقيادة الحازمة، كما أنه ولا يزال أقبلَ للحق، وأعْوَنَ عليه " [٢].

المشكلات:

التقليد:

ومن المشاكل التي تواجه شبابنا المعاصر بعامة، والعربي بخاصة الأشرار والأقران ومشاكلتهم وتقليدهم، وإفاضة الأعمال غير الصالحة لأصحابهم، وكثرة تداولها.

لذا فإن من واجب الشباب على أنفسهم أن يعطوا ذاتهم قيمتها، ويدركوا دورها، ويعملوا عقولهم، ويستغلوها بأن يمارسوا بها التفكير المستمر، ويسيروا الفرد وفق منهج عقلي متواصل العطاء والتدبر لكي لا يجمدوا نعمة العقل، ويعطلوا وظيفتها، ويسيروا وفق عقول الآخرين، أو أهواء نفوسهم، ويملوا عليهم نهجهم في الحياة عن طريق التقليد ومجاراة الرفقاء.

لماذا لم يعتبر الشاب أن عقله أحسن من عقول الآخرين أو مثلها؟ لماذا لم تنشر القضايا نشراً أمام الجميع ليدلي كل برأيه، ويكون النقاش والحوار مشاعاً للأصدقاء جميعاً؟ ولماذا يسير الشباب ولم يدرك كنه سيره؟ والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: " لا تكونوا تقولون أن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا؛ ولكن وطنوا أنفسهم إن أحسن الناس أحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا " رواه الترمذي [١].

ولهذا يثبت خطأ المقولة: "الموت مع الجماعة رحمة " وأنا مثل زملائي يصيبني ما أصابهم، أليس بإمكانك أن تنقذ أقرانك بالعقل والبرهان؟ بدلاً من أن تهلك ويهلكوا كأرباب السفينة في الحديث الشريف.

ومن هنا فليست العبرة بالكثرة، وإنما العبرة بالفكرة، وقد أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ ﴾ الأنعام: ١١٦.

---

(٢) من مقال للشيخ عبد الحكيم سرور، نقله كتاب الشباب دوره ومشكلاه، ص: ٣١.

(١) مشكاة المصابيح، تحقيق: الالباني ١٤٨/٣.

لذا فإن العاقل هو الذي يسير وفق منهج معتدل، يملك ميزاناً للحق والخير والعدل، يقيس به كل طارئ، فإن وافق الخير أخذ به، وإلا أعرض عنه غير آسف ولا ندمان. وقد وضع لنا رسولنا العظيم منهجاً فقال: " الكلمة الحق ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها " (٢).

والمرحلة الثانية من التقليد هي محاكاة الغرب؛ وليعلم الشباب أن الذي يفيض إليهم من خلق شباب الغرب وإشكالاتهم إنما هو لا فائدة فيه، ولا مصلحة منه، وإنما يظهر لنا بازديان صورتها أمام شبابنا الساقط فحسب، والشكلي منها من عادات اجتماعية وموضات متسارعة، وانحرافات خلقية شأنها شأن الزبد الذي يطفو فوق الماء.

أما القيم التي أخذت بيد الغرب للحضارة فإن دونها الحواجز والقيود والسدود سواء منها ما يراد له ذلك، والذي منها يحتاج إلى عقول جبارة من الشباب لا إلى تقليد ومحاكاة. وليس أولى على ذلك من السرية المحكمة التي تفرض على التقنية الصناعية، بينما تخدم وسائل الإعلام الغربي من إذاعة وصحافة ومقالات وكتب المجون والإباحية، وصرعات الانحلال وتعلنها بلسان عربي فصيح، ولماذا لا تقال أساليب الصناعة بلسان عربي مبين أيضاً؟

إذن فدور الشباب ألا يكون مستقبلاً من أمة تدبر الفتك به، وتضعفه ويفسح المجال لها ليساعدها على نفسه وعلى أمته. إنما مهمة الشباب أن يعرف عدوه، ويدرك أهدافه، ويقف موقف الند لا موقف الذليل المغلوب على أمره، ولا سيما وشباب الأمة الإسلامية يملك مقومات القيادة الإنسانية من فردية واجتماعية.

الوقت:

ومن الأمور ذات الأهمية القصوى لدى الشباب، والذي يستطيع أن يهيمن عليها بعقله وتفكيره وقدراته وتكوّن مستقبله ومستقبل أمته، عملية الزمن (الوقت) الذي يمضي ولا يعود.. الذي يشبه المسافة المعدودة؛ فكلما تجاوز الرجل ميلاً قرب للنهاية، وكذلك العمر الإنساني فإنه كلما مرت ساعة فإنها تقرب الإنسان لنهايته.

فهذا الزمن أو الوقت أو المسافة الزمنية هل استطاع الشاب أن يستثمره، ويستفيد من عمره وهو يمتلك العوامل المساعدة على ذلك وخيرها العقل؟ لذا فإن "من أبرز المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها

---

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، ص: ١٥، ومشكلات الشباب، ص: ٧٥.

شبابنا عدم فعالية استغلال أوقات الفراغ بصورة منتجة مفعمة بالعطاء، وذلك منبثق من عدم تقدير قيمة الوقت. إن الوقت بالنسبة للمجتمع المؤمن مهم جداً لأن الوقت هو الحياة، وخيركم من طال عمره، وحسن عمله. والرسول – عليه الصلاة والسلام – يوصي باغتنام الشباب قبل الهرم؟ والصحة قبل السقم " [(١)].

ويجب أن يشعر الشباب بأهمية الوقت، فالزمن كالسيف إن لم تقطعه قطعك. والزمن هو الذي ينسل من حياة الإنسان، وهو لا يشعر رغم أن الدقيقة في حياة الفرد والمجتمع لها دورها، فكم فيها من كلمة تقال؟ وكم فيها من آية تتلى؟ وكم فيها من حصاد للأرواح؟ وكم غذت العقول من العلم النافع؟ وكم في الدقيقة من الاكتشافات العلمية؟ وكم؟ وكم؟ فعلى الشاب أن يغتنم شبابه قبل هرمه ليعمل العمل الأكمل، والأجود، والأصلح.

أسباب الانحراف:

أما الأسباب والوسائل والتيارات التي انحرفت بالشباب المسلم عن الطريق السوي فإنها كثيرة ومتشعبة، وذات جذور عميقة، ومختلفة المصادر، ولكنها تعود إلى الأمور التالية:

(١) عدم الالتزام بالمنهج الرباني.
(٢) عدم النهل من التراث ومعطياته.
(٣) قيود الفكر المستورد.
(٤) قلة القراءة.
(٥) هيمنة وسائل الإعلام المعادي.
(٦) التبشير والغزو الثقافي.

ويرى الدكتور خلف الله أن " هناك طائفة من الانحرافات تكثر بين الأحداث في مرحلة المراهقة والبلوغ: أهمها النزوع إلى العدوان على الأموال والأنفس، والاستجابة للرغبات الجنسية، والاستهتار بالآداب العامة في حياة الجماعة، ومحاولة بعض الشباب الوصول إلى اهدافهم من طريق الغش وخيانة الأمانة، ومجاهرة بعض متعلمي الشباب بالمعصية وبالتحلل من القيم الدينية، والاستسلام الأعمى للتفكير المادي " [(١)].

---

(١) مشكلات الشباب، ص: ٥٥.

(١) من كتاب أحمد محمد جمال الشباب دراسات ومقارنات، ص ك ٣١.

وقد كثرت الدراسات الدينية والتربوية والنفسية والاجتماعية حول إنقاذ الشباب من الوقوع في براثن الشر، غير أنهم أدركوا جميعاً أن على الشباب أن يقوم بحماية نفسه عن طريق تكوين شخصيته. يقول الدكتور محمد مهدي علام:" الشباب كالمسافر إلى أرض جديدة، فيها كثير من المسالك الملتوية والمنعطفات، ولابد لهذا المسافر من خط سير أو خريطة أو دليل يهديه السبيل. وأنجح وسيلة لتزويد الشباب بهذا الدليل أو الخريطة هو أن تكون الخريطة ذاتية في معظم أحوالها على الأقل، بحيث لا يحتاج إلى الرجوع إلى غيره إلا في الأحوال النادرة أو القليلة (١).

فكان من واجبنا أن نكوّن شخصية شبابنا؛ لتستطيع أن تقيم من نفسها رقابة داخلية لأعمالها. ومن هنا نحاول أن نتتبع الأعمال التي يعملها الشاب؛ لكي يكّون شخصيته السوية.

المسئولية:

ومسئولية توعية الشباب وتنويرهم وإرشادهم تقع على رجال الفكر والعلماء ومثقفي الوطن، والوسائل الإعلامية وأساتذة الجامعة والقيادات السياسية والاجتماعية.

وعملية المسئولية لا تقف عند مشكلة بحد ذاتها، فهي استمرارية ذات ديمومة؛ لأن طبيعة النفس متغيرة متذبذبة؛ فتحتاج إلى قوة تدعوها للثبات ومواصلة التدبر والتصدي للقضايا المؤثرة في شباب الأمة، وتكون على ترابط وتواصل بالمبدأ، أو بالضمير الذي يوجهه الإيمان.

فالمسئولية تنطلق من الأسرة ورائدها، قال رسول الله – ﷺ –: "كل إنسان يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "؛ لذا فإن المعالم الثابتة للطفل تتكون في سنيّه الخمس الأولى، والطفل مقلد لأبيه.

وعلى الأسرة أن تقذف بالشباب في ميدان العمل والتجارب وإن عانت الأسرة من ضريبة الجهل وعدم الخبرة، ولكنها التربية العملية التي نحصل على ثمارها، فكما يدفع الإنسان المال ليعلم أولاده فإن الخبرة تحتاج إلى بذل يتجسد في قلة العطاء أول عمل الشباب.

والمؤسسات الاجتماعية يجب أن تقدم معطيات روحية سلوكية في ذاتها، وصادقة في غرس الإيمان في المجتمع، يستوي في ذلك المؤسسات التعليمية والاجتماعية والسياسية والإدارية والاقتصادية والإعلامية.

---

(١) الشباب دراسات ومقارنات، ص: ٢٤.

مهام الشباب:

والمهام المناطة بشباب الأمة متشعبة تشعب الحياة، ومتغيرة تغير النفس الإنسانية، ومتشابكة تشابك الكون، والشباب مسئول عن القيادة العقائدية، والقيادة الفكرية، وقيادة البناء، وقيادة التقدم والعمران.

والقيادة لا تستلزم التقدم في السن، وإنما هي قيادة الكفاءة؛ فالشباب الإسلامي قاد الجيوش وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة مثل أسامة بن زيد، ومحمد بن القاسم. والشباب الإسلامي قاد الفكر، وهم في مقتبل العمر مثل عبد الله بن عباس الذي يشارك كبار الصحابة في الاجتماعات ذات الأهمية، وعبد الله بن عمر والشافعي، وغيرهم الكثير.

إذن فإن الذي يصنع القيادة في الشباب هم أنفسهم بإرادتهم وقدراتهم وعلمهم والكدح والجد في طلب العلم والتحصيل، والإرادة القوية، والأسلحة والعوامل المساندة والمساعدة وكلها كامنة في تكوين كل شاب ويستطيع كل شاب أن يستغلها، وينتج نتاجاً فكرياً، والذي أقصده من هذه الأسلحة هي العقل والمواهب والقدرات التي تمثل الوعي والإدراك إذا ما أنضجها بالممارسة والقراءة.

والشباب هم سر الخلود للأمة ودعائمها، وهم رأسمالها الاقتصادي والفكري لتقوى في ذاتها وواقعها ومكانها، ولتضع حاضراً زاهراً ومستقبلاً مشرقاً. ونحن لو تتبعنا وظائف الفرد في المجتمع لتبين لنا أهمية دور الشباب. فكل مجتمع يحتاج إلى دفاع، والدفاع لا يقوم إلا على القوة، والقوة لا تأتي إلا من قبل الشباب، فهم مصدرها، وهم شعلتها، وهم قادتها، وهم الأقدام، وهم اليد الصلبة، إذن فالدفاع عن الأمة ومقدساتها وأمجادها وعزتها وكرامتها بل بقاؤها بين الأمم إحدى الوظائف الكبرى للشباب، وقوة الشباب ليست في الجسم والعقل فحسب، ولكن في الإرادة في الإيمان بالمبدأ، وتحتاج إلى جداول إيمانية تسقي نبات الحماس الديني الذي ينحسر أمامه كل حاجز، قال تعالى: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ مريم: ١٢ [٢]

والإنتاج الصناعي المتوالد عن المعرفة التقنية في أشد الحاجة إلى اليد العاملة القوية المخلصة التي تدفع من مراتب ذاتية لتفيد، وتستفيد لتبني الفرد ذاتياً، وتبني المجتمع، وفي بناء أحدهما بناء للآخر؛ ولذا فإن المصانع في حاجة إلى قوة عقلية، وقوة إيمانية، وقوة جسدية، ولا تتكامل هذه المقومات إلا في الشباب،قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةًۭ فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [٣].

(٢) سورة مريم، آية: ١٢.
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٧.





والإنتاج الزراعي ومعاناة العلم والمعامل والمخابر ومتابعة الجداول ومتابعة زراعة الشجرة واحتمال المؤثرات الكيماوية والحرث وتشغيل الآلات كل ذلك يحتاج إلى شباب قوي في إيمانه وعقله وبدنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ (٤).

والشباب هو الأقوى على احتمال الصبر والمعاناة، وهم أكثر جلداً، وأكثر صبراً، وأقوى انطلاقة وثباتاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ (٥).

الإيمان قوة الشباب:

الروح في الإنسان، وإن كانت معنوية إلا أنها حقيقة كحقيقة الجسم، وإن الجسم له متطلبات ضرورية كالهواء والماء والغذاء، والروح تمثل الشريحة الأكثر في الإنسان، ولها متطلبات أيضاً تتمثل في العقيدة؛ لذا فإن العقيدة أمر ضروري لتوازن الشباب واعتداله، والتوجيه للروح لا يمكن أن يكون نتاجاً عقلياً فردياً إنسانياً أو جماعياً يفرضه من يشترك مع الإنسانية في العقل على غيره؛ لذا لزم أن يكون التوجيه ربانياً ليتلاقى مع الروح؛ لأن الله هو خالق الروح، والمدرك لما يتناسب معها في كل زمان ومكان وتحت ظرف كل تيار.

لذا فإن على الشباب أن ينمي التواصل بين روحه وعقله وخالقه، قال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠) ﴾ (٦).

إن الإيمان أمر ينطلق منه التوجيه العقلي والتوجيه الانفعالي، ويصل بهما إلى مرحلة الكمال والتفاني، وبذا ينال الشباب خصلة وخلة، تدعو العقل إلى العمل الصالح، وتقيه من مخاطر الانزلاق، وتحفزه إلى الإدراك والوعي بالحياة الاجتماعية ومتطلباتها وبالصالح منها، وكذلك الوعي بالتكنولوجيا والتكيف المتواصل مع المتغيرات، وتسخيرها لأهداف إنسانية واجتماعية وفق القيم العليا.

والإيمان يمثل الوشائج والروابط للأمة التي تثبت التلاقي والتلاحم بين أفراد المجتمع، وتدعوهم إلى الإخاء والتعاون والانتماء، قال الرسول – صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " والإيمان يمثل الرقابة الذاتية؛ فيدعو إلى الإخلاص وقيام الحياة الاقتصادية التي تخدم الإنسان في فرديته وجماعيته، إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ".

---

(٤) سورة القصص، آية: ٢٦.
(٥) سورة الكهف، آية: ١٣.
(٦) سورة الشمس من ٧ – ١٠.



والبعد عن الإيمان يمثل المشكلة الحقيقية لشباب الأمة، حيث يؤدي إلى تفرقهم وتفرق أهدافهم، ويبعدهم عن التوجيه الرباني، ويحيل بينهم وبين القوة الذاتية التي تصدر عن الروح، وتسخر لها القوى الإنسانية " قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾.

والمسرح الحياتي اليوم المتلاحق في عصرنا هذا هو الذي جعل الشباب يتباعد عن الإيمان، وتتكون الأزمة الروحية للشباب المعاصر. وأن تكرار الأعمال الركنية والواجبة والسنية في الشريعة الإسلامية هو الذي يجعل الشاب متواصلاً تحيا فيه الجذوة الإيمانية التي تتحكم في تصرفات الفرد، وتكون خير موجه ومعين.

ومن الملاحظ أن شباب الأمة الإسلامية المعاصر ابتعدوا عن تحكيم الدين في سلوكهم العام، وتهافتوا في ممارسة الأعمال العبادية فلا كفر وإلحاد تشاغلاً وتهاوناً لعدم قرع أبواب النفس الإنسانية وإيقاظها.

الواجبات الذاتية على شباب الأمة:

(١) المسئولية: يجب على الشباب أن يعمد إلى تحمل المسئولية وتتماشى معه على قدر طاقته وقوته وجهده، ويلزم للمسئولية الإحساس بمصداقية العمل والنظام والتفاني فيما يعمل، والشباب لديه العقل الذي يؤهله للمسئولية، وقديماً قال الشاعر: "على قدر أهل العزم تأتي العزائم". ولن يبلغ الإنسان ذروة تحمل المسئولية إلا بدافع إيماني وتفانٍ وجهد متواصل ليصل مرحلة الإتقان.

(٢) العلم النافع: وقد أكد الإسلام عليه، وفضل العالم على غيره، فقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٧].وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾[٩]. وكثير من شباب اليوم يظن أنه يعلم، وأنه يبتكر، وظنه هذا دليل على جهله؛ لأنه لو تتبع الفكرة – أي فكرة – لوجدها قد طُرقت من عدد من العلماء. وأهم وسيلة للعلم هي العقل، وهي القوة الناصعة لدى الشباب فهل يعملون على استثمارها.

(٣) العمل الميداني: العلم يكتسبه الإنسان بعقله، وهو وسيلة العمل؛ لأن الإنسان خلق في هذا الكون ليعمل في عبادة ربه، وليعمر الكون، والقاعدة الصلبة من الصحابة – رضوان الله عليهم – تعلموا في سن الشباب والكهولة، وعملوا بما علموا، فكانوا النموذج الأكمل والأمثل والأتقن والأخلص، وقد قال قائلهم: " إنهم لا يتجاوزون عشرّيات حتى يتقنوها علماً وعملاً. والإسلام ينشد العمل المتقن

---

(٧) سورة الزمر، آية: ٩.

(٨) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٩) سورة الإسراء، آية: ٣٦ ؟.





الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[10]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[11] ويقول الرسول الكريم – ﷺ – " يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن ".

والشباب زمن التحصيل العلمي والمادي معاً، ويقول الشاعر:

فمتى أطلب إن لم أطلب الرزق غـلاما
سأجوب الأرض أبقيه حـلالاً لا حراما
فلعل الطعن ينفي الفقر أو يدني الحِمـاما

التربية بالقدوة:

فكل شاب في مقتبل العمر الزمني والعقلي لديه الاستعداد والمواهب والقدرات، ويجب على الشاب أن يستثمرها كما تستثمر الأرض، ومع ذلك لا تركن إلى نفسك وقدراتك فحسب، فيجب أن تلجأ إلى من تقتدي به من العلماء فتجالس هذا، وتصحب هذا، وتسمع عن ذاك، وتقارن حتى تهتدي إلى من تقنع به عقلياً؛ فتزاحم العلماء، وتنهل من معينهم، وتسترفد بآرائهم، وتستقي من جداولهم، ولا تظن أنك بمنجاة عن التقليد، فإنك إن لم تقلد عن إرادة وتدبر ووعي فإنك لا محالة مقلد آخرين بتصرفاتهم، وإلا قل لي بربك أيها الشاب، هل أتى أحد من زملائك وأقرانك أو أوتيت بشيء جديد في السلوكيات بما لم يطرق من قبل، فلابد أن تكون مقلداً؛ ولذا حذر العلماء المربين لأن أكثر الشباب يقلدونهم، وقال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي كيما يصحَّ به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدي بالعلم منك وينفع التعليم[1]

فهذا تعليم للمعلم وتشديد على سلوكياته. فكيف بك أيها الشاب، ألست الأحوج للتعليم والتشديد فيه. والقدوة تكون في العبادة والسلوك والعلم وغيرها من العلاقات الاجتماعية، فاختر المصلح الصالح.

التربية بالعادة:

وهذا يعني أن تعود نفسك وتروضها، وكذلك عقلك وحواسك على الأعمال التي تؤدي إلى الخير والصلاح، فتمارسها، وليس بالضرورة الاستشعار بها دائماً، ولكن الضرورة الالتزام العملي بها.

---

(١٠) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(١١) سورة الكهف، آية: ٣٠.

(١) تربية الأولاد، عبد الله علوان: ٦٣٣/٢.



الاتزان والحلم:

وهذا يؤكده أن تصبر نفسك على تلقي المشاكل وتدبرها وتعلقها، وألا تقطع فيها أمراً حتى تجيل عقلك في جوانبه، وتضع نصب عينك ملاحقة القضايا والمشاكل، وأن كل مشكلة أو قضية لا تتخذ فيها قراراً فورياً حتى تعرف الأسباب والدوافع، ثم تورد الحلول وتتدبرها، ثم تختار الأنسب منها، وهذا ليس في القرارات الكتابية والقضايا الصعبة، وإنما اجعل هذا مبدأ تسير عليه حتى في الأمور الشفوية التي تقابلك في الأسرة والمجتمع.

واستعن في مسيرة حياتك بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الشورى / ٤٣، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران / ١٣. وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت / ٣٤، وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ الأعراف / ١٩٩.

وقال الرسول الكريم – ﷺ – لأسبح عبد القبس " إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة " رواه مسلم.

وقال الرسول – ﷺ – " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " متفق عليه، وروى أبو هريرة — رضي الله عنه — أن رجلاً قال للنبي – ﷺ – أوصني، قال: لا تغضب فردها مراراً، قال لا تغضب " رواه البخاري.

مكتبة منزلية:

وعليك أيها الشاب أن تكّون مكتبة منزلية تتعهدها بالنماء والرعاية، لتكون جداولاً تتغذى منها.

توصيات:

أخي الشاب كن باراً بالعلماء والمفكرين وعقلاء مجتمعك، ولا تركن إلى عقليتك الضعيفة القليلة التجارب، وشارك الناس أفضل ما يملكون، وأفضل ما يملك الإنسان العقل. واجعل من إيمانك وعقلك أنواراً كاشفة لإضاءة السبل أمامك لكي لا تقع في مفاسد الأخلاق التي لا تنحصر في ظاهرة الكذب، وظاهرة السرقة، والسباب، والشتائم، والميوعة، والانحلال، والتدخين والعادة السرية، والمنكرات، والمخدرات، والزنا واللواط، فهذه أمور تفسد العقل والجسم والروح، وكلها تؤدي إلى هلاك الشباب وضياعه حسب نسبة تعاطيه منها.





وكلها يحاربها الإسلام وتحاربه، فهي وافدة على المجتمع العربي المسلم، وما عليك أيها الشاب أمام هذه الأخطار الداهمة المهلكة إلا أن تحكم إيمانك أولاً ثم عقلك ثانياً، فأنت إن رجعت إليهما كانا المنقذ لك، والحابس، والرادع بعد الله، فاحتم بهما، ولا تدع الشيطان يحول بينك وبينهما.

فعلى الشباب أن يلتزم مبدأ، ويظل صامداً عليه ينافح عنه، ويدافع، ويجادل حوله ويناقش، ويحاور، ويناظر حتى يتبين له الحق، ولا يكون إمعة مقلداً تابعاً، ولا يسلم زمامه ومقوده في يد غيره؛ فيكون كالأنعام بل أضل.





علاقة
الآباء بالأبناء





علاقة الآباء والأبناء:

إن الإنسان هو العمود الفقري الذي لا غنى عنه في هذا الكون؛ لذلك مَنَّ الله عليه بالعقل، هذا العقل الذي يولد كالخامة التي تحتاج إلى تصنيع، فإن تربيته موضع اهتمام الأمم، ومحور تنافسها.

والدين الإسلامي في قرآنه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – قد شدد، وركز على واجب الأبوين في الالتزام برعاية أولادهما، وإحسان أدبهم، فقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم-:" الزموا أولادكم وأحسنوا أدبم".

وقال أيضا: (حق الوالد على والده أن يحسن اسمه وأدبه، وأن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وألا يرزقه إلا طيباً).

أيها الآباء الأفاضل: إن النشء في حاجة كبرى إلى تثقيفه وتنميته وإرشاده، وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم -: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

إذن فالأب مسئول مسئولية كبرى عن اتجاه ابنه، فعليه أن يغرس الإيمان في نفسه، ويثقفها بالأخلاق الفاضلة والحسنة، والسلوك الطيب، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن)، وقال: (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع).

إن العملية التربوية متغيرة ومتطورة، ووسائلها كثيرة، فمنها: الحزم... الذي تركه الغرب فترة، ثم عاد إليه الآن بعد أن أدركو قيمته، وبعد أن رأوا ما رأوا من ضياع الشباب.

ومن الوسائل الهامة في ذلك: المثل الحسن؛ فإن الابن في هذا السن يقلد أسرته، فعلى أفراد الأسرة الظهور أمام ابنهم بالمظهر الإسلامي، والتقيد بالأخلاق الفاضلة، ومنها المتابعة الواعية لسلوك الابن وإرشاده وتوجيهه ومناقشته مناقشة منطقية حتى يدرك معنى الخطأ.

ومن الوسائل: محافظة الأب على ابنه، وعدم ترك الحبل على الغارب لكي يخالط من يشاء، ويصاحب من يشاء، فهذه الناحية تأتي منها أكثر المخاطر في أيامنا هذه، فربما كان الأصحاب الذين اختارهم الابن أصحاب سوء، والصاحب ساحب.

وعقلية الابن في هذه السن لا تساعده على حسن الاختيار الأفضل، فالدخول إلى قلبه من جهة العواطف والغرائز ميسور وسهل، لذلك كان الابن غير مستغن عن توجيه الوالد وإرشاده.



ومن الوسائل: أن تعيش الأسرة في جو من النظام والاحترام فيما بينها، فالابن يلزمه استئذان أبيه في خروجه؛ لأن بعض الآباء لا يلازم أولاده، ولا ينمي فيهم مصارحة الذهاب والإياب، بل وينام ولا يدري أين ابنه، هل هو في البيت أم خارجه، ولا يدري مع من هو...

أيها الآباء: إن مسئولية التربية مشتركة بين الأسرة والمدرسة، فعلينا أن نتعاون في تنمية أعظم ثروة لوطننا.

إن مسئوليتنا أيها الأخوة قد زادت ضخامة بسبب انتشار وسائل الإغراء التي تحيط الطالب في مثل هذه السن الصغيرة، والعقلية التي لم تنضج بعد. ووسائل الإغراء مثل: الفيديو، والألعاب الإلكترونية، والسيارات، علاوة على أصحاب السوء.

إذن علينا مضاعفة المحافظة على أولادنا، وهذه المحافظة تحتاج إلى وعي كامل من الأسرة؛ فلابد أن تملأ الأسرة على ابنها وقته، من حيث التعامل الحسن، والاهتمام به، وتأديبه، وتدريسه، وتعليمه أمور الحياة العامة، وإعطائه قيمته المعنوية في البيت، فيجعل الأب منه شخصاً مشاركاً في هذه الأسرة، شاعراً بمسئوليتها، ويعتني بتدريبه تدريباً عملياً، ويحسن تربيته بتكفّله قدراته وتناميه.

أيها الآباء الكرام: إنكم تعلمون أن العملية التربوية تحتاج إلى جهد كبير، فنحن نسعى هنا إلى توصيل المعلومة بطرق مختلفة وضعت الجامعة أسسها، وطرق تدريسها، ومنهجها.

والجامعة حريصة كل الحرص على تنمية الطالب، وتثقيفه، وجعله مواطناً صالحاً، وتكوين شخصية إسلامية علمية.

وطلابها في المعاهد العلمية لهم ميزات الطالب الجامعي، نعاملهم المعاملة نفسها إلا في الأمور التي تحتمها علينا قوانين التربية لما يناسب سنهم. والمعهد لا يهدف إلى تزويد الطالب بالمعلومات فحسب، ولكنه يهدف إلى غرس الأخلاق والسلوك السليم، واطلاعه على أوضاع مجتمعه، فيعايشه ليتعامل معه التعامل المناسب؛ لذلك قمنا بالنشاط اللامنهجي وأعطيناه أهمية كبرى.

أيها الآباء الكرام: إن من المشاكل التي تواجهنا، ونحب أن نعرضها عليكم هي:

١- حالة الغياب: فإن الطالب يغيب دون أن يشعرنا ولي أمره بذلك، ولا ندري علم ولي أمر الطالب بهذا الغياب أم لا.





٢- عدم متابعة الأسرة لمذاكرة الطالب، وهذا يحتاج إلى إدراك من الأب، فكلمة (ذاكرْ) التي يقولها ولي أمر الطالب له بصيغة الأمر غير كافية إذا لم يتابعه في الأسئلة والدروس والتسميع، هذا إذا كان الأب متعلماً، فإذا لم يكن كذلك فعليه أن يسأل مدرسيه بصفة مستديمة.

٣- نحن لم نعرف آراء أولياء الأمور في سير دراسة أبنائهم، ونحن نتقبل النقد والتوجيه، ومداولة الأفكار البناءة.

٤- كثير من الآباء لا يعرفون عن أبنائهم شيئاً، فهم مشغولون بالأعمال الدنيوية، ونسوا أن تربية أولادهم أهم الأعمال إليهم، وبعضهم يدعي، ويحتج بأنه يكد، ويتعب، ويشقى من أجل توفير حياة أفضل لهم؛ ليدخر لهم المال بعد موته.

عزيزي الأب: ليس مطلوباً منك توفير المال للابن بمقدار ما هو مطلوب توفير العلم والعقل له؛ فهما الوسيلة التي بها يجمع المال والفضل، وبدونهما يخسر المال والفضل، فإن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – ترك أولاده فقراء من المال، ولكنه رباهم تربية صالحة فنالوا بعد وفاته العز والشرف والخير كله، بينما ترك أحد الخلفاء الأموال الطائلة لأولاده فبددوها، ثم صاروا فقراء عالة على غيرهم. فلنا عبرة من أسلافنا – رحمهم الله –.

وفي الختام: نحن في آخر العام الدراسي، فعلينا أن نسعى جميعاً لصالح أبنائنا ونجاحهم، ونحن مستعدون للجد، وتكثيف الجهد في هذا المجال؛ عسى أن نجد ما يقابل هذا الجهد من الآباء الكرام، واعلموا بأنه في كل أسبوع يكون عندهم اختبار تجريبي على الأقل، فعليكم حثهم على المراجعة، ومتابعة نتائج الامتحانات الشهرية لكل مادة فضلاً عن الواجبات اليومية.

وإني أقترح على الآباء تكوين مجلس أبناء لهم يتعامل مع الإدارة، فيبدي اقتراحاته ونقده وطلباته لتطبيق ما نتفق عليه، وسنعمل لذلك في حدود النظام بإذن الله تعالى...

والله الموفق لكل خير.



التوجيه التربوي



التوجيه التربوي:

حاجتنا إليه – مفهومه – أهدافه – الشروط الواجب توافرها في الموجه..

لقد تطور مفهوم الإشراف أو التوجيه التربوي تطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة وتم إحلال كلمة موجه عوضاً عن مفتش، ويعكس هذا التطور بكل وضوح، فالمفتش قديماً يقوم على استخدام السلطة وتصيّد الأخطاء، ومن جراء ذلك غدت العلاقة بين المعلم والمفتش علاقة معتلة تخلو من العلاقات الإنسانية السليمة، بينما الموجه التربوي اليوم متخصص، خلفيته الثقافية عالية، متمكن من قدراته ومن توظيفها إيجابياً، ومن هنا كانت الحاجة ملحة للموجه التربوي.

حاجتنا للموجه التربوي:

إن العوامل المشتركة في تكوين عملية التعليم متعددة ومتشابكة تؤدي مجتمعة إلى إثراء ذهن الطالب بمعلومات وخبرات تجعل منه إنساناً سوياً بنَّاء. ولعل أهم هذه العوامل هو الموجه التربوي الذي يغني العملية التعليمية، ويضعها في مسارها الصحيح، ويوظف الإمكانيات المتاحة مادياً ومعنوياً في خدمة العملية التعليمية، فهو الناصح الأمين لكل معلم، وهو المرشد المخلص لكل طريقة أو أسلوب يؤدي إلى ارتفاع الأداء وزيادة في العطاء، وهو الناظر المتفحص ببصيرة نفاذة لكل منهج من حيث مستواه وصعوبته وملاءمته الدراسية، ولمدى الاستفادة منه عند التطبيق، وهل يحقق هذا المنهج الأهداف التربوية المثلى أم لا؟ من هنا كانت الأهمية القصوى للموجه التربوي، وهو يعتبر الدعامة الأولى في تطور وتقدم التعليم. وما دمنا قد سلمنا بهذه الأهمية العظيمة للموجه لزم أن نتوسع في عدد الموجهين في جميع الاختصاصات؛ لأن الزيادة ضرورة لا غنى عنها. ففي زيادة العدد ارتفاع الأداء، ويكون المردود أفضل، والتطبيق أكثر دقة، وأكثر تحقيقاً للأهداف، وزيادة في مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، وهذا ما ننشده لوطننا الغالي، ولكي يتحقق كل ذلك، ونرقى إلى القمة يجب أن يكون الدعم كاملاً للموجه التربوي بكل الإمكانيات، يوفر له كافة السبل كي يؤدي وظيفته على أكمل وجه.

تعريف التوجيه:

حاول كثير من التربويين وضع تعريفاً للتوجيه، ولكن المتدبر لهذه التعاريف يدرك أنها تصف العملية التوجيهية وصفاً تقريبياً، ولنستعرض بعضاً من هذه التعريفات لعلنا نحيط علماً بماهية التوجيه:

(١) أن المقصود بالإشراف الفني هو بيان أوجه النشاط التي تخص أولاً ومباشرة بدراسة وتحسين الظروف التي تحيط بالمعلمين، وبتعليم التلاميذ وغيرهم.

(٢) الإشراف بغية الوصول لدراسة أحسن.

(٣) هو نوع من أنواع النشاط وُجّه لخدمة المدرسين، وإطلاق قدراتهم الكامنة، بتذليل ما يعترضها من عقبات، ومساعدتهم على القيام بواجبهم في صورة أكمل.

(٤) هو عملية توجيه وتقويم ناقدة للعملية التربوية، والنتيجة الاخيرة للتوجيه يجب أن تكون تزويد التلاميذ بخدمات تعليمية أحسن.

(٥) خدمة فنية تعاونية تهدف إلى دراسة الظروف التي تؤثر في عملية التربية وعملية التعليم، والعمل على تحسين هذه الظروف بالطريقة التي تكفل لكل تلميذ أن ينمو نمواً مطرداً وفق ما تهدف إليه التربية المنشودة [1].

المفهوم الحديث للتوجيه التربوي:

يقوم المفهوم الحديث للتوجيه التربوي على أساس أنه حي ديناميكي متطور، لا مفهوم متحجر، ومن أهم ما يتميز به المفهوم الحديث للتوجيه التربوي ما يلي:

(١) يستهدف التوجيه والإرشاد والنصح ومساعدة المعلم على تطوير نفسه وارتفاع أدائه. وبالتالي الارتقاء بمستوى التوجيه التربوي، ويلتزم التوجيه الحديث بالآية الكريمة: وشاورهم في الأمر.

(٢) أن التوجيه التربوي يتميز بالطابع التجريبي والأسلوب العلمي، وهذا يعني أن تكون الممارسات التربوية الجارية موضع تساؤل مستمر، وتخضع للاختبار والتقويم والتحليل العلمي. كل ذلك يؤدي إلى اكتشاف البدائل الجديدة للمارسات التربوية.

(٣) يستمد الموجه التربوي سلطته ومكانته من قوة أفكاره، ومهارته الفنية، ومعلوماته المتجددة باستمرار، وخبراته المتطورة، ومدى تأثير كل ذلك في معلميه. وهذا يتطلب من الموجه التربوي أن يكون هو نفسه نامياً في ميدانه حتى يستطيع أن يساعد الآخرين على النمو.

(٤) أن يقوم التوجيه التربوي الحديث على أساس المشاركة والتعاون بين المعلم والموجه، وهذا يتطلب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس سليم، والصلة بينهما تنبع من علاقات إنسانية صحيحة استناداً إلى وحدة الهدف، والارتقاء بالعملية التربوية.

(٥) يعتبر التوجيه التربوي الحديث برنامجاً متكاملاً مخططاً، فالموجه يستخدم أساليب متنوعة مثل الزيارات والندوات والمناقشات وتبادل الخبرات. إن الموجه التربوي يوزع اهتمامه بين المعلم والطالب، فيتعرف على مستوى الطلاب وتقدمهم، ويطلع على أعمالهم التحريرية ومناقشتهم، فهو يضع أمامه دائماً الأهداف التربوية الكبرى في ارتباطها بواقع العملية التربوية في المدرسة، ويمتد نشاطه حتى يشمل

---

(١) عوامل الكفاية الانتاجية، ص: ٢٥٧، ٢٥٨.

الوسائل والطرق والأنشطة التي تمارسها المدرسة، ومدى صلاحية الأبنية والتجهيزات، ويعتبر الموجه مسئولاً عن تقويم مدى كفاءة وفعالية هذه العناصر كلها.

(٦) المفهوم الحديث للتوجيه يقوم على أساس أن تقويم المعلم ليس هدفاً في ذاته، وإنما وسيلة لتحسين مستوى أدائه؛ لذا يجب أن يكون التقويم هادفاً موضوعياً، وبناءً، وإذا كان لابد من كتابة تقرير عن زيارة المعلم فمن الأفضل أن يكون التقرير ذاته موضع مناقشة بين الموجه والمعلم ذاته.

أهداف التوجيه:

إن الذين يضعون السياسات التربوية، والذين يقومون بتنفيذها يلتزمون في البلاد بالإطار العام للتوجيه الرباني، ويضعون نصب أعينهم تلك القيم الربانية التي تتعلق الجماعة بها، وتنشدها ولا تتخلى عنها، ومن هذا الحاجات الوطنية للعلوم التجريبية، ومن نتاج التغير الاجتماعي نحاول رصد الأهداف للتوجيه التربوي:

أولاً: الإدارك والوعي للهدف التربوي:

فالموجه يجب عليه أن ينظر، ويستلهم الهدف السامي الديني من وجهة النظر الإسلامية، وكذلك الهدف الوطني والاجتماعي، والهدف الفردي للتلاميذ، ويتمثل من الناحية المعرفية، والجمالية والعاطفية والروحية تنظيراً وتطبيقاً، وكذلك تنمية القدرات الذكائية والعقلية والمواهب والاستعداد والطاقات، وإعداد الطالب كي يكون عضواً فعالاً في مجتمعه، مدركاً ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وأن يُعد التلميذ إعداداً سليماً حسماً ونفساً واعياً بالمستلزمات الصحية مُحَلّياً بالأخلاق الفاضلة التي تنسجم مع القيم السامية، إلى جانب الإدراك الزمني وفائدته المنهجية في استثماره وعدم التفريط فيه؛ فينظمه تنظيماً يمكنه من الاستفادة منه، ويحث الموجه والمدرس والتلاميذ على تفهم أهمية الأسرة، والوعي بالثقافة الاجتماعية، والتعامل الاجتماعي، والإدارك الواعي للطريقة العلمية المنهجية، وتذوق الجمال واكتساب القدرات على التفكير المنطقي، والتعبير عن الأفكار بوضوح.

ثانياً: التلاحم بين الغايات والوسائل:

فإن كل مادة من المواد طرحت في المنهج لهدف معين، فهي وسيلة لهذا الهدف، والذي نخشاه أن يتهم المدرس بالتلقين المعرفي البحت الذي يؤدي إلى إتقان الوسيلة، ولا يعبأ بالهدف، والذي نبتغيه من المدرس أن يجمع بينهما.

ثالثاً: إدراج المواد الدراسية تحت مظلة واحدة:

فعلى الموجه أن يمكّن المدرس من الوعي بمكانة مادته بين المواد، ومدى تلاحمها معها، ولا ينسى الموجه الصلة التي تربط المدرسة بالمجتمع، وما هي نظرة المجتمع لهذه المدرسة؟.





رابعاً: تحسين الظروف المدرسية:

تحسين العلاقة بين المدرس والتلاميذ، وبين المدرس وزملائه، وبين المدرس والإدارة، وتحسين ظروف المدرسة واحتياجاتها الضرورية من وسائل الإيضاح والأثاث والمباني وغيرها. وتحسين سمعة المدرسة في المدينة، أو القرية والمجتمع.

خامساً: إدراك المشكلات التي تعرقل مسيرة التعليم:

ما أسباب هذه المشكلات؟ وما دور الإدارة وأسرة المدرسة فيها؟ وما هي الحلول؟ وأيهما أقرب للتنفيذ؟ وتكون الإجابة عن طريق القراءة الموضوعية للواقع المدرسي.

سادساً: التربية والتعليم المستمرين للمدرس:

إن المدرس الذي يركن للتحصيل الجامعي يعود إلى الأمية بسرعة متناهية، والرسول – صلى الله عليه وسلم – حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، والتربية المستمرة ضرورة لكل إنسان، فكيف بمن يمارس العملية التربوية، والتي يقول الخبراء عنها " بأنها عملية نمو واستمرار في النمو، وإعادة بناء الخبرات الإنسانية؟ لذا فإنه من واجب الموجه أن يعمل على تنمية قدرات المدرس ويحفز همته، ويرغبه في المهنة. ويقوم بحمايته، وشد أزره عند الظروف الصعبة.

سابعاً: إيضاح الإيجابيات التربوية، والمحافظة وتطويرها.

ثامناً: بيان السلبيات التربوية، وحصرها، وحصر أسبابها، ووضع الحلول.

تاسعاً: تزويد المدرس بكل جديد في التربية.



العمل والتربية



العمل والتربية:

إننا عندما ننظر لمسيرة العلم في الدول الإسلامية قديماً وحديثاً نفخر بها، كما يقول أحد المستشرقين: تجد أن علماء المسلمين بعدد أعمدة المساجد، والأمة عذرت طلبة العلم عن شيئين عظيمين في الحياة؛ عذرت عن العمل ومشاركة العمران، وعذرتهم عن الجهاد، فطلبة العلم أكثر من المجاهدين، ولم يعملوا توازناً بين الجهاد والعلم، وهذا مخالف للتربية النبوية الأولى، فكان طالب العلم من الصحابة يقوم بالمهن والكسب وطلب العلم، ويلبي نداء الجهاد، فلما خالفوا هذا المبدأ، واقتصر جهدهم على طلب العلم وعدم الكسب، قتل كثير من طلبة العلم في المساجد بلا مقاومة في وقت الأزمات الحربية لعدم استعدادهم الفكري والحربي.

أما نحن في عصرنا اليوم فنجد أن الشباب عالة على أهله حتى يبلغ الخامسة والعشرين، فيمتد دور الأم، ويمتد دور الأب، ويمتد دور الدولة حتى يتخرج من الجامعة، وهو لا يقوم بخدمة نفسه، حتى إعداد أكله، وملبسه، كل ذلك من الوالدين أو الدولة؛ أليس من الواجب علينا أن نعيد النظر في هذه المنهجية؟ ثم ما هو دور المدرسة في تنمية الروح العملية، وتدريس المنهجية الفكرية لها، وترسيخ المنهج السلوكي؟.

ونحن أيضاً إذا ما احتجنا إلى العمالة ألا تستطيع كثير من المؤسسات بالقيام بخدمة ذاتها، كأن تقوم المدرسة بعمل الإصلاحات والترميمات، بل بنظافة المدرسة، كما تعمل الجيوش التي تقوم بإعداد الغذاء، والنظافة، وخدمة الأبنية الفورية والخيام؟ بل إن بعض الجيوش تقوم بالصناعة، والصيانة، وتمهيد الطرق، وتكون منتجة مستثمرة.

ومن الخير أن تكون هناك مراكز في كل مدينة تابعة لإدارة التعليم تكون فيها دورات متتالية مسائية، في زمن قليل، وتكون مرتاداً للطلاب في الإجازة، تقام فيها مراكز صيفية تعلم مبادئ المهن العملية، وتحث على العمل، ويكون لها مجالس إشرافية تحتضنها إمارة المنطقة.

ويجب أن يكون الطالب على وعي بالعمل الاجتماعي؛ فمن تربيته زيارة الوزارات والمصانع ومؤسسات الكهرباء، وجميع أنواع العمل كيما ينغرس في نفسه روح الإنتاج.

وبزراعة حب العمل نبني كيان الأمة، ونلبي الواجب بعمارة الأرض، ونقتدي بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام الذين تعلموا العلم، وعملوا مكتسبين، وجاهدوا مخلصين، فلا تصنيف، ولا جمود، ولا بطالة، وبذلك نكون أمة قوية.







نائب الملك يعانق الوطن والمواطن

وأقترح أن يكون ثمارها جامعة في الشمال





نائب الملك يعانق الوطن والمواطن:

إن معالم كيان الدولة وضروريات الحياة البشرية والفردية والاجتماعية في الجزيرة ارتبط بالعهد السعودي في ثلاثة قرون، ومازال آل سعود يواصلون المسيرة، ويرعون تطورات الحياة البشرية، ويسايرون الطوارئ والضروريات الطارئة لكيان الجزيرة وأبناء الجزيرة، وقد جدد هذا المبدأ الراسخ للدولة السعودية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان نائباً للملك سابقاً في لقاء بأعضاء مجلس الشورى، وأعلن على الملأ في الخطاب السنوي للدولة أن الدولة تولي المواطن والوطن كل رعايتها، وتسعى حثيثة لتلبية متطلبات المواطنين من ناحية الأمن والاستقرار، ثم التعليم والإعداد للحياة العملية، وقد تفهم رعاه الله ضروريات الشباب التي تدعو إلى كيفية التعليم التقني والمهني، وإيجاد مواطن للعمل فيما يجاري تنافس إنسان الكون على الحياة البنائية المعاصرة التي تستوعب موجبات الحركة العالمية نحو التقارب، والتنافس على بناء المواطن العامل المبدع في عمله الذي ينجز ويعطي، ويدعو إلى تجاوز مرحلة الاستهلاك والبطالة، وقد دعا المجلس إلى إيجاد الحلول المقترحة، إلى جانب ما تقوم به الدولة لمواصلة المرحلة المستقبلية.

إن مجلس الشورى يقوم على العقلية المتأملة، كي يبني الاستشارة المحكمة، وذلك ما يتمناه ولاة الأمر، بل يرغبونه المنهج الدائم في المؤسسات الوطنية، ومن جليل الثمرات التي استقاها المجلس من اللقاء مع نائب الملك يوم ذاك، تلك العقلية التأملية التي تخضع لجمع المعلومات، وبناء الفكر، ومحاولة تطبيقها على الواقع المعاش. ومن هنا فإنه أمر بالعودة في كل قضية إلى إيجاد فكر واقعي لها في المجلس، فطلب صراحة مقترحات المجلس، وهذا اتجاه يزيد من فاعلية المجلس ومسئولياته، بل يدعو إلى بناء مجتمع معاصر تصاغ ذهنيته وتطلعاته لتتشكل منها منهجية معاصرة تقوم على بناء المعرفة، وحجة البرهان، وتحديد القضية وماهيتها، وطرح الحلول المقترحة بداية من القضايا الفردية، وكذلك الاجتماعية حتى تبلغ القضايا الوطنية، ومن هنا يدرك الفرد مسئولياته والواجبات عليه أولاً لذاته ولوطنه، وكذلك يدرك ما له وما فيه إيثار المصلحة العامة على المصلحة الفردية.

ولا شك أن اللقاء مع نائب الملك يوم ذاك المتسم بالمصارحة والمكاشفة بين ولي الأمر والمؤسسة الاستشارية الكبرى قد حصد المجلس منها ثماراً، واستفاد من هذه الزيارة، وهذه المصارحة التي بلغت مرحلة الشفافية، فنائب الملك يومها استجاب لبعض الطروحات، وتوقف عن بعضها كي لا يكون الأمر ارتجالياً، واستحث المجلس على أن يقدم مقترحات لأكثر القضايا التي تعرض لها أعضاء المجلس.



وإنني أقترح في هذا المقال أن يحظى شمال المملكة بقيام جامعة لتكتمل نجوم الجامعات في اتجاهات بلادنا، متمنياً من نائب الملك أن يكون المقترح مقدمة الأولويات الملحة، فله براهينه الضرورية للحياة والدين، وحماية الوطن وبناء الفكر، والتأهيل الوطني.

ومن فضل الله عز وجل أن يرى هذا المؤلف النور، وقد تحقق هذا الاقتراح بعد فترة من الزمن، وبهذا لزم الدعاء إلى أهل الرأي والمشورة بالخير والسداد لما كان لهم من مواقف.







الاعتماد على الذات



الاعتماد على الذات:

أيها الشاب.. أيتها الشابة..

لا تسلم نفسك للبطالة المقنعة، أو البطالة المكشوفة، لا تسلم نفسك لأخطاء اجتماعية أسرية، عملت لك، وجعلتك متواكلاً لا متوكلاً. لا تسلم نفسك لأخطاء تربوية علمتك التنظير، وحجبتك عن العمل.

لا تقل هذه شهادتي، بل قل هذا عملي، ولا تسلم نفسك لاختصاص، وإنما قل أين العمل، وقلّ إن الإنسان يتطبع، ويتعلم كل جديد ويتجاذب مع كل بيئة لأن له عقلاً مهيًأ لأن يعيش في كَبَد، ولأن له نفساً قابلة لأن يزكيها بالعمل، أو يثبطها، ويجعلها كئيبة بالبطالة.

وأول الأعمال أن تكون ذا عقل تأملي، يقف عن الأمور الحياتية، ويجدلها بمنظار فكره المرة تلو الأخرى، حتى تتجلى له مواطن الصفاء، ومواطن الخطأ، وأن يكون ذا نفس عملية، استهلالا من الأعمال الفردية الخاصة به من الإصلاحية للفرش والألبسة، والأغذية، وإعداد وخدمة الوالدين في شئون المنزل. اعمل ولو مجانًا، أو بأجر زهيد، وتنقل من عمل إلى عمل، ولو عملت بدلاً من العامل الأجير، أو العاملة الأجيرة.

أيها الشباب والشابات:

اجعلوا من العمل عنصراً فكرياً وثقافياً، وميداناً رياضياً؛ فالذين يعملون هم الأصحاء في العقول أولاً، وفي الأبدان ثانياً، وهم الأصحاء الأسوياء في النفوس.

أيها الفتى إنك أول ما تواجه نفسك، وأول ما تلوم نفسك.. اجعل نفسك لوامة لذاتك؛ فهذا مصدر النجاح، أما مصدر الخيبة أن تجعل نفسك لوامة للآخرين، فتعلق عليهم كل عوامل فشلك، وأنت مصدرها الحقيقي، وما أشد أن تكون لواماً لأسرتك، أو أن تكون مقبلاً على اللوم في مرحلة الشباب، مرحلة العطاء.. إن أبواب العمل مفتحة من البيت إلى الأعمال اليدوية، إلى الأعمال المهنية، فأعمال الخياطة للفتيات أعمال لا تنضب، ولو نظمت بالساعات في أماكن معدة ومجهزة لاستقطبت عدداً من الفتيات، وكذلك فإن الأعمال المهنية والتجارية هي الأرحب لشباب الأمة.

العقاب للطالب والمعلم



العقاب للطالب والمعلم:

إن عملية التربية تقوم على الإنسان، والإنسان لم يكن له مطلق الحرية، فمن بداية الأمر قيده الله بالعقل؛ فالعقل عقال له من الشطط والانحراف، أو التيه. وهذا قيد شامل لجميع البشرية، وليس هذا فحسب، بل إن العقل محدود الإمكانيات، وربما تتغلب عليه الغرائز، فأوجد الله له موجهاً آخر قوياً أقوى من العقل، وهو الدين الذي يحاسب الفرد ظاهرياً وباطنياً، وليس ذلك كافياً أيضاً، فوجدت له السلطة وقوانينها وتنظيمها، والشرع الإسلامي أيضاً سن الحدود والقيد والحلال والحرام. إذن من حيث المبدأ فإن النقل والعقل يؤيدان توجيه الإنسان بالسلطة: " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن " وعملية تنفيذ الحدود والتأديب فرضت على العقلاء من البشر، ولم تحجب عن عالم ولا وجيه ولا كبير، إنما توقع على من وقع فيها، فاستحق الجزاء الرادع.

وما دام أن هذا شأن العقلاء، فكيف بمن عقولهم في حاجة إلى تنميته كالأطفال، والمراهقين، فكلٌ يقرّ في طفولته، وحتى في رجولته، وكم من موقف حازم انتشل مراهقاً. ومع ذلك فالدين يحث على الحزم والعقاب والتوجيه من مرحلة الطفولة حتى يبلغ الحادية والعشرين؛ فالابن مصاحب لأبيه تحت رؤيته، فيلاعبه لسبع، وكلٌ يدرك ملاعبة الأب وصحبته، ثم تأتي مرحلة التأديب لسبع، ثم ننتقل لمرحلة المصاحبة مرة أخرى لسبع أخرى، لكن للأسف من يعمل هذا مع أبنائه اليوم يعتبر في نظر المجتمع جانياً على أبنائه. ووظيفة الأب يحمل مثلها معلم الأجيال، فلماذا لم نعط حقه في التوجيه والتأديب؟ وهم يذكرون أخطاء وقعت، فلا مناص منها، لكنها تقع من الآباء، قلة وندرة أفضل مما تقع من الأبناء في كثرة وشيوع، وتتسرب إلى المجتمع كله. ومما يؤسف له، بل إن حادثة المدير والمدرسين، وما خفي أعظم، كانت نتائج حتمية لسلوكيات التربية المستوردة والمستنبطة من مجتمعات لا تقر بكثير من الأخطاء، وحوادث الوالدين خاضعة لظروف المجتمع المتحلل من السلوكيات، الذي انتزعت فيه الأنا، ونتيجة لاضطرابات نفسية. إن أخذ التربية الغربية بجملتها ليس من الصواب في شيء، بل أخذنا السلبيات، وأعرضنا عن الإيجابيات؛ كمثل الالتزام والنظام والتفاني في العمل، وهذا لا نجده عند أولئك، بل عند بعض العرب الذين التزموا بتلك التربية، فما أحوجنا إلى تربية إسلامية تقوم على الحزم في عملية تنظيمية، ترفع شأن المعلم، ولا تمنع عقاب المعلم الذي يتجاوز حده، أو حد العملية التربوية. إن الحزم التربوي وسيلة من وسائل نجاح المجتمع، ومن السدود في وجه الانحراف.



إن الأوائل قالوا: إن التعليم رغبة أو رهبة، ومادام التعليم حتى الثانوية إجباريًا فلابدّ من الرغبة أو الرهبة أو كلاهما معاً، وكلٌ يدرك أن غالبية المعلمين يمارسون الترغيب أولاً، وأتذكر أنني في يوم من الأيام أعلنت للطلاب في بداية العام فلسفة العقاب والضرب، وقلت لهم: إن كلاً منهم يخبرني عن حالته قبل الضرب إذا كان يحمل مرض القلب، أو الصرع، أو أي مانع؛ فعندي ألوان أخرى من العقاب، وقد نجحت في هذا، وأخبرني الطلاب وإن آثر بعضهم جزاء الضرب. لكن هذا الضرب يمارسه المدير أو المعلم بمكر ودهاء، فهو يظهر الغضب وهو غير غاضب، ويكون بعصا (تحر ولا تضر)، ويكون في بداية ممارسة الإدارة أو التعليم حتى يعرف عنه ذلك الحزم، والضرب يصحبه مناقشة عقلية، وإذا تجاوز الطالب حدوده فيجب أن يكون هناك حزم شائع ذائع. ونحن أمة نفتقد الحزم في العمل فخفَّ، أو نقص الإنجاز، ونفتقده في التربية، فتمرد الطلاب.

دعوة
لجمعية القرآن الكريم



دعوة لجمعية القرآن الكريم:

(كانت هذه الدعوة قبل عشرين عاماً أو يزيد، يوم أن كان الأمير عبد المجيد – رحمه الله – أميراً على منطقة تبوك).

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود لمنطقة تبوك

تيقنت يا صاحب السمو أن لكم في كل خير باعاً طويلاً، وأنكم تسبقون إلى كل مكرمة، وأن الله قد أراد لمنطقتنا كل خير بإمارتكم عليها، فكلنا أسعد الناس بكم، كما أنكم أرحم الناس بنا، وأكرم الناس علينا، ألنتم لنا جانب الحب والحنان، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر.

ورفعتم من شأن العلم والعلماء، وفتحتم بابكم لكل الناس، ففي كل مكان تتحرك الألسنة بالدعاء لكم ولعائلتكم الكريمة العريقة بالمجد والفخار، ودوام العز والسلام.

وكل هذا وما علمته من حبكم للعلم والعلماء، ورفع راية القرآن والسنة العصماء، فعساني أن أرفع لسموكم مقترحاً آثرت أن يكون تنفيذه على يديكم ليكون ثوابه عند الله في صحيفتكم، وهذا الاقتراح هو أن يكون للقرآن الكريم خدمة وتدريساً وتعليماً في تبوك، مثل ما له في غيرها من مدن المملكة الحبيبة.

فكلما ترى وتسمع كيف انتشرت مدارس تحفيظ القرآن في مساجد مدن المملكة الحبيبة يثلج الصدر، ويفرح القلب، فكذلك نحب أن يجري مثل هذا الخير العميم على يديكم الكريمتين، غير مقتصرين على مدرسة تحفيظ القرآن التابعة لوزارة التربية على فضلها وجهدها المشكور.

ولقد أطلت التفكير في هذا الموضوع فخرجت مقتنعاً بما يلي:

(١) أن رعايتكم لهذا المشروع كفيلة بإذن الله بنجاحه، وأنت أجدر بتبني هذه الفكرة، ليكون جزيل ثوابها وأجرها لكم، وفي صفحتكم يوم القيامة (ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

(٢) إن الاستئناس برأي سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز رعاه الله يساهم في نجاح هذا العمل، لسابق مواقفه الخيرية العظيمة في هذا المجال، ولتمدنا رئاسة البحوث والإرشاد بالرأي والعون المادي.

(٣) الاستعانة بإرشادات وآراء (المركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه، والتي أسند المقام السامي رئاستها ودراستها إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في مديرها الدكتور / عبد الله بن محسن التركي، ولدي اليقين بأنه سيبذل كل جهده لإنشاء مشروع القرآن في مدينة تبوك.

(٤) إنشاء صندوق خيري لهذا المشروع يساهم فيه أهل الفضل، وما أكثرهم في هذا البلد المعطاء، ويصرف من هذا الصندوق مكافأة المدرسين والطلاب.

(٥) أن تكون هناك لجنة لمراقبة ذلك، ولتحقيق أهداف الدولة في تربية النشء المسلم، وفي تعيين المدرسين المشرفين على التدريس في مساجد الأحياء.

(٦) وأن يكون التدريس بعد صلاة العصر للصغار، وإذا رؤي أن تجعل دروس خاصة للكبار الأميين بعد المغرب، أو بعد العشاء فذلك فضل من الله لا يرغب عنه أحد.

هذا ما خطر لي من مقترحات أرجو أن تجد عندكم (والفضل كله لله ثم لكم) قبولاً للتنفيذ، لأن المنطقة متعطشة لذلك، راغبة فيه، باذلة — إن شاء الله — النفس والنفيس لتحقيقه.

فأرجو الله أن يكتب ذلك على يديكم؛ ليكون تاريخ نهضة القرآن في تبوك مقترناً باسمكم وتاريخكم أبد الدهر، فيذكر تاريخ المنطقة أن النهضة القرآنية في تبوك كانت إن شاء الله على يد أمير التّقى / عبد المجيد بن عبد العزيز.

وهذا مما يعزز ما في قلوبنا لكم من الحب والوفاء.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وهل هناك عمل خير من خدمة القرآن الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وقد استجاب سمو الأمير، فدعا إلى تكوين جماعة القرآن الكريم بعد شهر واحد، وكان الشيخ عبد العزيز الحميد رئيساً لها، وكنت أمينها.

خطبة الحفل الختامي

لعام ١٤٠٢ هـ - ١٤٠٣ هـ

في تاريخ ١٤٠٣/٦/١٣

خطبة الحفل الختامي لعام ١٤٠٢هـ – ١٤٠٣هـ:

الحمد لله الذي خلق الإنسان لخلافة الأرض، وجعله أهلاً للأمانة، ووهبه القوة على حملها بعد أن أشفقت منها السموات والأرض، ونحن في هذا الصرح علينا من الأمانة، أمانة العقول وإعدادها وتكوينها وفقاً لما أمر به تعليم ديننا الحنيف.

أيها الضيوف الكرام، إننا وإياكم نشترك في مهمة واحدة، هي تربية وإنماء وتثقيف أبنائنا الذين هم أبناء الأمة الإسلامية، وأَعْظَمْ بها من مسئولية، فهم شباب الأمة، وهم عقولها، وهو سواعدها، وهم قادة فكرها، وهم أبناؤها اليوم، وآباؤها غداً، فواجبنا إعدادهم لهذه المسئوليات التي يمثلُ كلٌ منها جانبٌ عظيمٌ من جوانب الأمانة.

وما دمنا أدركنا دور هؤلاء الشباب، فالكل مسئول عنه، فالدولة مسئولة، والأب مسئول، والأخ مسئول، والمواطن مسئول، فيجب أن نتكاتف، ونتعاون للقيام بهذا الواجب الوطني الذي أوصانا به رسولنا الكريم فقال – صلى الله عليه وسلم –: " ألزموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم "، وقال – صلى الله عليه وسلم –: " حق الولد على والده أن يُحسن اسمه وأدبه، وأن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وألا يرزقه إلا كل طيباً ".

إن المجتمع بكل قطاعاته العامة والخاصة؛ الحكومية منها والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، والتجارية، يجب أن تكون أداة تربية وتوجيه وتثقيف للشباب، لكي يحميهم من الضياع ومن ثم نحمي أمتنا ومستقبلها.

أيها الحفل الكريم: إنني في هذا المقام، أعتزُ بأولئك الآباء الذين أدركوا واجبهم، فأعطوا أولادهم الرعاية الواعية، والعناية الكاملة، فأصبح أبناؤهم من خيرة التلاميذ، بل أفضلهم.

وإنني في هذا المقام أيضاً أُعاتب أولئك الآباء الذين يجرون وراء المادة، ويجمعونها، ويقولون نحن نكد، ونشقى من أجلهم.

أيها الأب: إنك أخذت جانباً، وتركت الجوانب الأكثر أهمية، فليس المطلوب منك أن تحضر لهم الغذاء والماء، وتتركهم يرعون كالأنعام. إن الإنسان يختلف تماماً؛ فإلى جانب الجسم وتغذيته هناك الروح والعقلُ يجب أن تثقف، وتغذى بالإيمان والفكر السليم، وممارسة التربية العملية.



وإن كنت تقول أيها الأب، أجمع المال حتى إذا مت يجدون ما يغنيهم، نقول لك: إنها نظرية خاطئة، بل أن مسئوليتك هي تكوين العقل أولاً الذي به يجمع المال، وقد أشار الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – إلى هذا المعنى في حديثه حيث يقول: " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن ".

أيها الآباء: إن المعهد لا يقتصر في هدفه على حشو الطالب بالمعلومة فحسب، ولكنه إلى جانب ذلك يهدف إلى غرس الإيمان بالله وغرس الأخلاق، والآداب الفاضلة، وإلى تكوين عقلية واعية بظروف وطنه وأمتهم الإسلامية، وإلى تنمية العزيمة والضمير الحي، وقد قال العلامة التربوي محمد عطية في هذا المجال: " قد اتفق علماء التربية الإسلامية على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم، ونربي أرواحهم، ونبث فيهم الفضيلة، ونعودهم الآداب السامية، ونعدَّهم لحياة طاهرة كلها إخلاص وطهارة ".

أيها الأخوة: إننا جادون بعون الله، ومخلصون لأن يكون المعهد صرحاً علمياً نموذجياً من حيث مبانيه، ومن حيث مناهجه، وطرق تدريسه، ونشاطه، وتفاعله مع المجتمع، وهذا لا يتحقق إلا بتعاونكم وتآزركم معنا، فأسرة المعهد تفتح باب الحوار حول الأفضل، وتتقبل النقد البناء، وترحب بالتوجيه السليم.

وفي الختام أني أدعوكم دعوة عامة تظل أمانة في أعناقكم بأن تتابعوا سير أبنائكم في معهدنا هذا، بل في المدارس جميعها، وإننا نرحب بالزيارة في أي وقت، وبالاتصال بالهاتف، لتسأل عن ابنك خاصة هذه الأيام لقرب الامتحان منا، فعليك أن تتابع ابنك في مراجعاته، وتجعلُ له ولك جدولاً زمنياً لاستعادتها واستذكارها، والسؤال عنه داخل المعهد.





جماعة تحفيظ القرآن الكريم

خطبة في مسجد التوبة في تبوك عام ١٤٠٥ هـ



جماعة تحفيظ القرآن الكريم:

(١) طالعتنا جريدة الرياض في عددها رقم ٥٢٨٧، الصادر يوم الخميس ١٤٠٣/٢/٣ هـ ببشرى الخير، وهي هدية من صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك ورئيس جمعية الملك عبد العزيز الخيرية يوم ذاك – رحمه الله –، حيث أمر بتدريس وتحفيظ القرآن في مساجد منطقة تبوك، وأن هذا العمل الخالد طالما تمناه أهالي هذه المنطقة من سنين عديدة، فالحمد لله الذي جعله على يديه.

يا صاحب السمو: إن أحياء المساجد العطشى إلى ترنيمات آيات الذكر الحكيم من أفواه الشباب لمفخرة لك يا صاحب السمو، نرجو ثوابها من الله.

وإني.. وباسم كل أب وأم يرنو، ويتطلع إلى ابنه وفلذة كبده، ويتلهف أن يكون هذا الولد مصبوغاً بصبغة القرآن (ومن أحسن من الله صبغة).

وباسم كل شبل صيّرت ألسنتهم رطبة بتلاوة القرآن، ينهلون من معينه، وتدوي أصواتهم الحلوة بآياته، وباسم كل مواطن مخلص نشكر لسموكم هذه البادرة الخيرة، والصنيع الجميل والإبداع والسبق لهذا العمل الخالد.. وأي عمل أفضل من تثبيت كتاب الله في الصدور؟

ولقد عهدناك كريماً مضيافاً، ولكن إكرامك لضيوف الله في بيوت الله – بتحفيظهم كتاب الله – تاج كل كرم.

وفي الحديث عن ابن مسعود – رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إن هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ".

فجزاكم الله يا سمو الأمير عن الإسلام كافة، وعن أهالي منطقة تبوك خاصة بهذه المأثرة الجليلة التي أجراها الله على أيديكم.

(٢) الحمد لله العلي العظيم، الجواد الكريم الذي أنزل الكتاب بالحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وصلى الله على خيرته من خلقه، محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسليماً كثيرا، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك الناس على المحجة البيضاء بنور القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾، وفي القرآن صلاح للجنان وشفاء للأبدان وتقويم للسان، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾وفيه من العلوم ما



فيه، ليسير هذا الكون الإنساني في نظام رباني كما تسير تلك الأفلاك والأجرام وما سواها من الآيات الربانية التي اكتشف العلم أقلها، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

والقرآن الكريم منه هداية العالم الإنساني أجمع، وهو تاج لكل مسلم، ولسان لكل عربي، وفيه صلاح دنيانا وآخرتنا، وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه "، وقال: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".

إن جماعة تحفيظ القرآن الكريم لترحب أجمل الترحيب وأكمله بالذي له اليد الطولى في تعليم القرآن في هذه المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز، أمير منطقة تبوك حفظه الله، ورعاه، وسدد إلى الخير خطاه، فهو رائد هذه الجماعة ومؤسسها، كما هو رائد كل خير في هذه المنطقة فإليه يعود الفضل بعد الله في تكوين هذه الجماعة ومازال يتابع غرسها وسقيها ونموها، ويشملها برعايته.

صاحب السمو: إن هذه الأمسية المباركة التي يشهدها سموكم، ويكرم فيها أهل القرآن وحفظته لهي من الليالي المباركة المحبوبة لدى كل فرد في هذه المنطقة.

أيها الأخوة: إن كتاب الله هو أعظم كتاب، وهو الذي خص به المسلم، وحمله، فهو أمانة يحملها، وهو أعزها وأجلها قدراً.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: " وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " رواه مسلم.

الحمد لله العلي العظيم، الجواد الأكرم، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله وحده، أنزل الكتاب بالحق.



أحيا المرور اللغة
فهل يحيي الأنفس؟



أحيا المرور اللغة، فهل يحيي الأنفس؟:

تحية وتقدير لأولئك المستشارين والمنفذين لعملية الترقيم الحرفية الرقمية للعربات في بلادنا؛ فإدخال الأحرف في عملية الترقيم أحيت موات اللغة؛ فأنا وغيري نقرأ مضامين الأحرف، ونعجب كيف تكون هذه الكلمات غائبة عن الاستخدام، فكشفت هذه العملية عن آلاف الكلمات التي يحق لها أن تحيا.

والمرور بهذه الأحرف الرقمية كشف عن أسباب غياب بعض الكلمات لصعوبة النطق بها، أليس من الصعوبة نطق كلمة مكونة من حرف العين والهاء والحاء في لفظة واحدة، وقس على ذلك الكثير والكثير، ومن محاسنها أن كل صاحب سيارة بحث عن معنى اللفظة التي تحملها سيارته، مما أوجد وعياً لم يكن له سابقة في علم المرور العربي.

ومادام نجح المرور في إحياء اللغة فلعله يحيي الأنفس. فمما ينقص الحياة اليومية ما تطلع علينا به صحفنا من نكبات مرورية؛ فهذه فتاة تشهد مصرع أسرتها، وتصعق لصرخاتهم وصيحاتهم، وتقرأ تارة عن أسرتين لم يبق منهما حيٌّ، وتسمع عن نكبة ضابط عسكري يتمتع بإجازته فيعترض له طفل غِرٌّ يقود أكواماً من الحديد، فيقضي على العسكري وأسرته جميعاً، ورابعة، وخامسة، وهكذا.

إن نكبات المرور التي يفرط فيها الإنسان المسلم بعقله أكثر من نكبات الحروب، والفيضانات بل والزلازل، الأمر الذي فرض علينا التفكير في مهمة رجل المرور الذي هو مماثل لرجل الأمن، أو هما معاً في رجل الأمن الشامل اليوم.

فرجل المرور حامل أمانة الأنفس البشرية، مما يحتم عليه أن تكون وظيفته هي الهاجس، فأي مهمة أعظم من حفظ الأنفس؟ فمن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحيا فكأنما أحيا الناس جميعاً، فما أعظم العقاب؟ وما أعظم الثواب؟ ومادامت وسيلة النقل اليومية، بل قل كل ساعة تحمل الخطر على صاحبها، إن لم يلتزم أو يلزم، ولعل صاحب المرور باخع نفسه إن لم يلتزم كل فرد، فهو معني ومسؤول مسؤولية ذاتية، فيجب أن تستحوذ عليه هذه الوظيفة، وصلاحها، وصلاح أهلها، فمن واجبه الوعي بالعوامل المساعدة لسلامة الأنفس، سواء كانت فكرية أو يقظة شعورية، أو عملية حسية، فالفكرية تؤدي إلى الوعي لصاحب المهمة وصاحب الوسيلة، مما يدفع إلى تنظير فكري يبني شخصية الفرد مع مطلع حياته. أما اليقظة الشعورية فإن المطلوب شحذ الأحاسيس الذاتية للفرد، ليحافظ على حياة الآخرين إن كان مسؤولاً، وليحافظ على حياته، ولا يؤدي بنفسه إلى التهلكة، ولا يكون سبباً متعمداً في قتل الأنفس





البشرية، ونفوق الحيوانات البرية، فلا مناص من غرس المحاسبة الذاتية، فمهما وجد من مبررات ومعاذير فإن الحيطة والحذر أمران واجبان على كل فرد، يحتمهما الشرع والعقل. فإذا تهاون في قيادة عربته وكان سبباً في حادث مدمر، أليس هناك حساب ظاهري، والأدهى والأمّر ما يعتلج في الباطن، وما يشعل الضمير، وتكون المحاسبة، فكيف يزهق الأرواح؟ وكيف يهلك الأموال؟ بل أموال الفقراء والمحتاجين لا ينجي من ذلك ضعف الرادع، أو جهل الكاشف، أو تواطؤ ضعيف النفس، كل ذلك مدعاة لكتابة التنظير الفكري المدرسي والثقافي وممارسة التطبيق العملي الذي يؤدي إلى التأني، ويقظة العقلانية الدائمة.

أمّا الوسائل الحسية المتمثلة في العوامل المساعدة فيجب أن ننظر لها من خلال آلة المواصلات، فكما أن الحياة القديمة ابتكرت التدريب والترويض والاعتساف للخيل والإبل؛ فإن الحياة المعاصرة توجب النظر لهذه المطية المعاصرة أولاً، فتكون خاضعة للمقاييس التي تحول دون الإفراط والتفريط، من أقرب الأمثلة على ذلك ما لفت انتباهي وحير فكري، أن سيارة صغيرة خفيفة الوزن، محشوة بالبلاستيك تعرضت لصدمة خفيفة داخل المعابر فتطايرت أبوابها، وأصبحت معجونة المقدمة، امتطيتها بعد إصلاحها، وإذا بسرعتها ٢٢٠ كيلاً في الساعة، فكيف لو كان الحادث في الطرقات السريعة والطويلة؟ بل إن السيارة معدة للشباب الذين بعضهم تكون نزواته وشهواته أسرع من عقله وتأمله، فكيف تكون هذه الحالة بمباركة من المقاييس؟ أليس من العقل الوقوف في وجه هذه السرعة بمنع دخول أي سيارة تتجاوز سرعتها (١٥٠) كيلاً؟ ولو لي من الاستشارة نصيب لصنفت السيارات؛ فمما يركب داخل المدن لا تتجاوز سرعته (١٠٠) كيلاً، وهناك عربات للطرق الطويلة يسمح لها بسرعة عقلية لا تبلغ مرحلة الخطر.





أهل الحي السكني والتربية



أهل الحي السكني والتربية:

نحن أحوج ما نكون إلى بناء الفرد بناءً عملياً، والبناء لا يكون هماً أسرياً فحسب، ولا هم الدولة منفردة بأثقال الهموم كلها، وإنما عوامل البناء تكون ذات روافد متعددة من سائر هذه الجهات، بل من تعاونها، وكذلك مع تعاون المجتمع، وإذا أردنا الفاعلية المتحركة والرقابة الدائمة، والحركية الفكرية المتجددة علينا بتفعيل الأحياء السكنية، واستقطاب الفكر العلمي من أبناء الأحياء؛ فأهل الحي يقومون بالإشراف التربوي على مناشط الحي العملية، فهم قادرون على أن يؤسسوا مراكز عملية مهنية وتربوية تستقطب الشباب، وتكوّن لجاناً من أهل الخير سلوكاً ومالاً وعملاً.

وقد نجحت مراكز الأحياء في المدينة المنورة، وهي الآن تشق طريقها في مكة المكرمة. ومراكز الأحياء تحتاج إلى تنظيم ووضع لوائح، ومنهجية، وإشراف من وزارتي العمل والشؤون الاجتماعية. وهذه المراكز من الأفضل أن تحتوي على المتعة والمنفعة معاً، وتضم مراكز للذكور، ومراكز للنساء، والمجتمع مهيأ لذلك، فهناك شرائح اجتماعية ترغب بالعمل التطوعي، وهناك شريحة المتقاعدين يحبذون العمل المفيد، ويجدون فيه راحة، ولاسيما وهي تسهم إسهاماً كبيراً في إصلاح شباب الأمة.

أما المكان فإن أكثر الأحياء توجد فيها مساحات مخصصة للحدائق، فلو أخذنا منها جوانب لكانت الفائدة تعم الحي.

والذي أراه أن تكون الأمكنة مهنية لوجود المهن الحية، وتعليم الحاسب الآلي، إلى جانب النشاط الفكري الذي يقوم على التسامح والتواد والتكاتف والتعاون، وكذلك تضم أنشطة رياضية وتقوم على منهجية عملية منظمة تنظيماً صريحاً ومكشوفاً للرقابة.

أما النساء فإن مراكزهنّ تضم المناشط النسوية مثل الحياكة والمشاغل النسوية، والمهن الصغيرة، وتكون لها إدارة نسوية؛ ومجالس خاصة وعضوية، وفتح أبواب التدريب المهني الأقرب رحماً إلى الضرورة النسوية العملية؛ مثل الحياكة والتدبير المنزلي، والتربية السلوكية، والمنهجية والعملية.

ويجب على وزارة الشئون الاجتماعية أن تقوم بوضع نماذج تخدم المصلحة العامة، وتفي باحتياجات التدريب، ويراعى فيها عدم الكلفة والمقدرة الرقابية، وأن تعمل على هيكلة التنظيم الإداري التطوعي، وكذلك فتح قبول التبرعات من أبناء الحي، ومن أهالي المنطقة، وأن تخضع للرسوم حتى تكون المصروفات من واردات المركز، ولا يمنع أن تكون هناك مقاعد للمعوزين والفقراء.





ويجب أن يشترك أهالي الأحياء في إدارة مدارسهم، حتى يساهموا بفكرهم وبعملهم وبأموالهم، ويشرفون على تربية أولادهم، فيكون هناك مجلس تربوي في كل مدرسة مكون من المدير، وبعض أعضاء هيئة التدريس، وبعض أفراد الحي، وتكون هناك تبرعات لمتطلبات المدرسة.





تعليم الطفل في المجتمع السعودي

بحث مقدم إلى ندوة الطفل والتنمية بتاريخ ٢٢-٢٤/ ٣/ ١٤٠٧ هـ



تعليم الطفل في المجتمع السعودي:

المقدمة:

إن القارئ لثوابت مجتمعنا السعودي يكتشف من خلال دراسته لظواهر هذا المجتمع أن معالم تربيته تمثل التربية المتناسقة المتكاملة الشاملة التي تتطلبها الحاجات الإنسانية، وتحفظ العملية التوازنية، فالفرد لابد له من تكامل المكونات التي تؤدي إلى شخصية سوية، فالإنسان ينقسم إلى قسمين: روح ونفس، وتتمثلان من الناحية المعنوية، وجسم، ويتمثل من الناحية الحسية، وكل من الجانبين قطب كامل له دوره الفعل في الحياة، ولا وُجِدَ الإنسان إلا باجتماعها وتلاحمها وتكاملها وتنميتها، واكتمالها يمثل أهم عناصر النمو الحضاري، فينطلق منه التفاني في العمل، وتنطلق منه القيادة الفكرية والاقتصادية والسياسية؛ لأن التوجيه والاتجاه السياسي لابد وأن يكون نابعاً من قدرة المجتمع، فالذين يمثلون القيادة أبناء المجتمع هذا أولاً، وأن الذين ينغمسون في القيادة، ويحملون أثقالها وأمانتها لا محالة من سعيهم لإرضاء الشعوب والسير في اتجاهها، وكانت الثنائية التعليمية والفكرية عرقلة سير التقدم عن طريق الصراع بين الطبقات في كثير من دول العالم الثالث.

من هذا ندرك أن الفرد والمجتمع لا تقوم لهما قائمة إلا بالتوازن بين التربية الإيمانية والخلقية والجسمية والنفسية والاجتماعية والعملية، ذلك ما تنشده، وتبتغيه التربية والتعليم في المجتمع السعودي، وذلك ما لم تبلغه التربية في الدول المتقدمة؛ فكان اعتمادهم على القوى البشرية وإعراضهم عن الروحية وإشباع الرغبات النفسية بالمادة جعلهم يضلون الطريق، فلم يضعوا الأسس للتوازن التربوي، فطغى جانب، على جانب وكان الخلل، الأمر الذي يدفعنا للجزم بأن التعليم والتربية في المجتمع السعودي يتجهان إلى الأفضل في أخذها بهذا المنهج الشامل مع مواكبة المتطلبات العصرية والاستعداد، وتقليل المتغيرات الناجحة مع الإجادة في التنفيذ والتطبيق، وليس معنى هذا أننا بلغنا ما نتطلع إليه، فنحن في بداية الطريق؛ لأن أمامنا عملية المحافظة على الثوابت السليمة، وعملية التطوير المستمرة ومنهجية التفكير والقدرة العملية الفاعلة.

والناظر إلى الأسس التربوية البعيدة الفور في المجتمع الإسلامي، والذي ساهمت في تكوين مفاهيمه، وبلورت عاداته وتقاليده يدرك أنها صالحة للتكيف مع مجتمعنا في المملكة العربية السعودية؛ المجتمع الذي يجعل العقيدة الإسلامية منطلقه الأول في الحياة، وتكون نوره الذي يهتدي به عبر مسالك الحياة، وتجعل

حياته آفاقاً من الآمال، فكلما حقق هدفاً من أهدافه لاح له هدف أسمى، وهكذا بدون انقطاع حتى يأتيه أجله. ولذا فإن المسلم في عملية إنتاجية متنامية متطورة مستمرة.

والإنسان إذا لم تكن له غايات وأهداف تدعوه، وتشده إلى مواصلة العمل والإتقان والجدية والمثابرة يفقد توازنه، ويركن إلى الكسل والخمول، فيتبلد العقل عن الابتكار، وتنزوي الهمة، ويصبح في حيرة من أمره، ويفقد الحوافز، ويصاب بفراغ نفسي، ومن ثمَّ يصبح عضواً لا فائدة منه ينتظر البتر، أو هو يبتر نفسه، وينتحر كما هو الشأن في كثير من الدول التي وفرت جميع السبل المادية لأفرادها، ولا يمكن أن يُقضى على هذه الظاهرة إلا بالمثالية والدأب المتواصلين إلى بلوغهما مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [(١٢)]، والمثالية هذه تتجاوز الأهداف الدنيوية من حيث واقع المتطلبات وتعلو إلى طلب المثوبة والأجر؛ الأمر الذي يحتم الإيمان باليوم الآخر، ذلكم ما يتجسد في الإيمان بالله يدعو إلى العمل وصلاح الدنيا والآخرة، ومنها الفضائل وكبح الزيف والفساد، وفيها حلاوة الحياة والاطمئنان في الدنيا؛ مما يحتم على الأسرة ورياض الأطفال والمدرسة وضع الإيمان في مقدمة المستخلصات التربوية، فيعرفون المتعلم بقدرة الله، وينسبون إليه كل تدبير وعمل خير، ويوضحون له الحلال والحرام، ومراقبة الله وتوفيقه، وأقرب السبل إليها هي قدرة النموذج الأسري على التباس هذه القيم وتطبيقها عملياً إلى جانب ما توصلت إليه التربية من الأساليب النافعة.

وقد حاولت في هذا البحث أن ألتمس الأصول التربوية الثابتة من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء والحكماء، وأبلور خصائصها لنرى مدى تكيف المجتمع السعودي معها، واستمرارية هذا التآلف، وإنتاجية المجتمع من خلال معطيات العقيدة. وبحثت في أهم مكونات تعليم الطفل ومصادره في مجتمعنا السعودي المعاصر، حاصراً بعضاً من المشاكل التي قرأتها من واقع المجتمع، ثم تعرضت للحلول التي اعتقدت أنها تفيد، وتأخذ بأيدينا إلى الأفضل مع واقعيتها وقرب مأخذها وسهولة تنفيذها مستمدين العون من الله الذي نسأله أن يسلك بنا سبل الخير، إنه سميع مجيب.

---

(١٢) سورة البلد، آية: ٤.



أصول التربية الإسلامية:

الجزيرة العربية منبع الإسلام ومنطلقه الأول، ومهبط الوحي، وتكتنف البيت الذي تهفو إليه قلوب المسلمين، وتحتضن مسجد الرسول – ﷺ- في المدينة المنورة التي يأرز إليها الإسلام كما تأرز [١٣]الحية إلى جحرها.

والمجتمع في هذه البلاد يحيا بروح الإسلام، وأسسه الاجتماعية منبعثة من التشريع الإلهي، وجداول العادات والتقاليد نابعة من الفكر الإسلامي في أغلب مناحيها.

لذا فإن الدارس للتعليم والتربية لمجتمع المملكة العربية السعودية لابد له من معرفة الدين الإسلامي، وأثره في تكوين القيم؛ لأن علماء الاجتماع يقولون: إن الأسس الثابتة في المجتمع لا تتغير، والإسلام له تأثيره الكبير على الثوابت الاجتماعية، بل هو صانع جذورها ومنابعها، أما نحن في المجتمع المسلم نؤمن بالتغيير إلى الأفضل، كما غيرت مدرسة الرسول – ﷺ – أسس وثوابت المجتمع الجاهلي.

ومن حسن حظنا في دراستنا هذه وجود التوافق بين ما نعتقده وبين ما قامت عليه التربية من إقرار الأسس الراسخة، واقتباس المنهجية منها.

ودراستنا للتربية الإسلامية يرجع لكونها العقيدة التي نؤمن بها، ولأن سياسة التعليم في الدولة تهدف إلى نشرها وترسيخها، ولأن المجتمع لا يبتغي بها بديلاً؛ ولذا فإن توجيهها، وما يستظل بظلالها يلقى هوى وقبولاً لدى المجتمع السعودي بأكمله لموافقته للأهداف التربوية الاجتماعية، وأساليب تحقيقها في هذه البلاد.

والإسلام صحب الطفولة والمؤثرات فيها حتى قبل تواجدها وبزوغها وإطلالها لفجر الحياة، حيث أمر باختيار المرأة الصالحة في دينها وخلقها، فقال – ﷺ-: " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك "، كما أوصى بالمرأة السليمة المعافاة في نفسها، وفي جذورها، وأصولها "اختاروا لنطفكم "، وقال " إياكم وخضراء الدمن" ونصح بالابتعاد عن الأمراض الوراثية مثل البرص والقمص، وفي ذلك حماية من المؤثرات الوراثية التي تتمثل في الجينات الناقلة لعدد من الخصائص الوراثية، ويولد الطفل وذهنه في حالة صفاء ونقاء، غير أن حتمية تكوين الآليات والمفاهيم الذهنية أمر واقع لا محال

---

(١٣) يأزر: يلجأ ويتجمع



له، ومن هنا يتصارع عالم اليوم على التأثير في تكوين العقول البشرية، فالكل يسعى لاحتلال المركز الأول، والأكثر هيمنة وفاعلية، غير أن أمرها ومصدرها ينبع من المربين المشرفين، وأغلب الأحيان يتولى الوالدان العملية الإشرافية، ويكونان بمثابة المغذي لهذا الفكر المتنامي عند الطفل، فهما يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه. ولا أعتقد، ولا يعتقد غيري من المسلمين أن هناك أفضل، ولا أعظم، ولا أصلح، ولا أنجح من غرس الإسلام في نفس الطفل، فهو أولاً عبادة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [١٤] وثانياً يمثل النظام المتكامل من مجموعة الخصائص العقلية والاجتماعية والذهنية والجسمية والفطرية والمكتسبة، وتتفاعل مع الظروف والأوضاع الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، ففيه إصلاح للفرد والمجتمع والإنسانية، وفيه بناء وعمارة وتطور وتكوين، ويرشد عملية الإنسانية، والاعتدال والتوازن له، وتلبية رغباته من منطلق الواقعية، وعدم الضرر على النفس والآخرين.

لذا فإن من اكتمل له دينه، وانغرس في نفسه فإنه داع ودافع وموجه لخير الإنسانية، وجاعلٌ منه نبراساً يهتدي به في أعماله حتى تمنعه من الخطل والزلل والوقوع في المحاذير التي تحف بالإنسان، ولا ينجيه منها إلا الدين أولاً، ثم العقل ثانياً.

والتربية لها جذورها العميقة في التعاليم الإسلامية، ولها أسسها الراسخة التي تقوم على الإرشاد والتوجيه الإلهي انطلاقاً من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال العلماء والحكماء، ونظراً لأهمية الطفولة وإصلاح المستقبل الإنساني، وحرص العلماء على مستقبل الناشئ فإنهم ضربوا فيها بسهم وافر ارتكز على بناء النفس والجسم معاً، ويعتمد على زراعة الخير والحق ومنهجية الفكر والعمل والالتباس بالقيم والمثل العليا، وأدركوا أن تعليم الطفل هو المنطلق الأساسي لحياة سعيدة ونفعية دينية ووطنية، وليس أدل على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء والحكماء، ونحن نقتبس بعضاً منها لكي نلتمس منها أسساً للنظريات التربوية التعليمية للطفل المسلم:

أ — الآيات القرآنية:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [١٥]. ففي هذه الآية الكريمة منطلق تربوي نابع من التكوين الوراثي والتعليم الأسري معاً، وفيها خير الإنسانية، حيث إن الإيمان يحتم نجاح الإنسان في دنياه. وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [١٦].

---

(١٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(١٥) سورة الطور، آية: ٢١.

وكل أب وأم يسعيان جاهدين لأن ينال ابنهما أفضل الدرجات، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق العلم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[١٩]، وقال جل شأنه: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٢٠].

فهذه الآيات وغيرها تهيئ عقل المسلم وتحفزه على تعليم أطفاله؛ لذا فإن أغلب المسلمين كان همهم الأكبر مراقبتهم في الحياة صقل أبنائهم بالتربية الإسلامية، وتزويدهم بالعلم النافع، حتى يكونوا من زمرة علماء المسلمين.

ب – أقوال الرسول – ﷺ –:

- " غدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة ".
- " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ".
- " العلماء ورثة الأنبياء ".
- " اطلبوا العلم ولو في الصين ".
- أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد.
- " أفضل الناس المؤمن العالم ".
- " لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم، ولا متعلم ".
- لأن يؤدب الرجل خير من أن يتصدق بصاع ".
- " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن ".

ج – أقوال الحكماء والعلماء:

---

(١٦) سورة المجادلة، آية: ١١.

(١٧) سورة الزمر، آية: ٩.

(١٨) سورة النحل، آية: ٤٣.

(١٩) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢٠) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

– روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما رفع وُلْدَه إلى المؤدب قال له: " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني أصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح ما استقبحت، علمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ".

– وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ابنه: " علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وأحملهم على الأخلاق الجميلة، وروهم الشعر يشجعوا وينجوا، وجالس بهم أشراف الرجال، وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم؛ فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقرهم في العلانية، وأنبهم في السر، واضربهم على الكذب، وإن الكذب يدعو إلى الفجور وأن الفجور يدعو إلى النار " (٢١).

وهذان النصان في القرن الأول الهجري، ونلمح فيهما كثيراً من النظريات التربوية القيمة.

وتحدث كثير من العلماء والمفكرين والفلاسفة عن التربية الروحية والجسدية والنفسية والعقلية والأخلاقية، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وتعرضوا لها، حتى طرائق الأكل، وآداب المجلس أوصوا بتعليمها، وكان الغزالي من الذين أفاضوا الحديث في هذا المنحى، ومن أقواله:

" الطريق في رياضة الأطفال من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشارك في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب. وإن عود الشر، وأهمل شقي، وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، وعلى الوالي أن يصون الصبي من الآثام؛ بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه عن قرناء السوء، ولا يعوده التنعيم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية؛ فيضيع عمره في طلبها إذا كبر" (٢٢).

والاهتداء والاقتداء من الأسس القوية في التربية الإسلامية؛ لذا فإن العلماء لم يهملوا الواجبات التي تراعى في المعلم والمتعلم التي تسهم في بناء الطفل بناءً سليماً، فكان على المدرس – على ما سبق – ألا

---

(٢١) مجلة الخدمة الاجتماعية / كليات البنات، مقالة د. نادية العمري، العدد الثاني ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٢٢) تاريخ التربية الإسلامية، د. أحمد شلبي: ٢٨٨.



يكون في مجلسه مكان مميز لآحاد الناس، بل أن المجتمع عنده سواء، وإنما كان على المدرس أن يعامل الفقير معاملة الغني " (٢٣).

" وعلى الطلاب أن يقفوا موقفاً مماثلاً، وأن يدركوا أنهم أمام المعلم، وفي حلقات العلم سواسية، لا فرق بين غني وفقير، وشريف وسوقه بل الفضل للمهذب المجد " (٢٤).

والمتتبع لكتب التراث والكتب المعاصرة التي اختصت بالتربية فإنه يتلمس نظريات إسلامية، إن لم تكن علمية تجريبية، فهي أقرب إلى الصواب من النظريات الغربية التي تهمل جوانب إنسانية متعددة؛ لذا لا تصل إلى درجة من الصحة تبلغ ما بلغته النظريات الإسلامية، ويعود ذلك لصحة الأسس التي انطلقت منها التربية الإسلامية، واعتمادها على المنهج الرباني والاستنارة بهديه، وليس معنى هذا أن نعرض عن النظريات الحديثة والمعاصرة، بل الذي أقصده أن نستلهم التربية الإسلامية، ونستوجبها، ونقتبس من المعاصرة ما يخضع للعلم التجريبي، وما لا يخالف الدين والعقل والمنطق، ونستطيع أن نركن بعض الشيء إلى الاستبيانات التي تعتمد على مجتمع مماثل، ولمشرفين مجردين من الأهواء، مع المعرفة المسبقة للكثير من القيم عندهم مما لا تلائم ديننا ومجتمعنا.

خصائص التربية الإسلامية:

كل باحث في أعماق الأصول التربوية الإسلامية ذات الاهتمام بالطفل يدرك أن التعليم الإسلامي، وتربيته عنصر أساسي في التربية الإنسانية لكونها " منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في رياض الإيمان، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بعمل، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية ولا يتصف بصفة الإنسانية الفاضلة.. بل يعيش عيشة الضال التائه الذي لا يعرف للحياة غاية، ولا للعمل هدفاً، ولا للإيمان حلاوة، يعيش ليشبع غرائزه، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين " (٢٥).

---

(٢٣) تاريخ التربية الإسلامية: ٢٩٢.

(٢٤) تاريخ التربية الإسلامية: ٢٩٢.

(٢٥) مجلة الخدمة الاجتماعية، مقالة الدكتورة نادية العمري، ص: ١٤.



ولارتباط هذه الخصائص بمجتمعنا الإسلامي في المملكة العربية السعودية، وتشابكها مع وضعنا الاجتماعي، ولأنها تحمل قنوات وجسوراً توصل إلى حل مشكلات الطفولة في هذه البلاد فإننا – ولكي نقتدي بها – نلم إلماماً سريعاً بخصائص تعليم الطفل في الإسلام:

(١) اعتمادها على المنهج الرباني الذي يدرك صالح الإنسانية، ويعمل على الاعتدال والتوازن، وينظر بمنظار العدل وعمارة الحضارة، ويتساوى لديه المكان والزمان والمجتمع والقبيلة والفرد، ويمتاز بالفاعلية والشمولية، ويدرأ المخاطر، ويحث على الحق والخير.

(٢) كون التعليم مشاعاً ومجاناً في حلقات المعلمين والعلماء.

(٣) يشترط في المربي أن يكون صالحاً عالماً مؤمناً ذا قدرة عقلية وفكرية وخبرة اجتماعية، وأن يكون عادلاً باراً بتلاميذه.

(٤) وضع الإسلام أسساً للعقاب مستمدة من التشريع الرباني ومتدرجة، فكانت سليمة وناجحة.

(٥) الحزم الذي يتمثل في الشخصية المربية، والتي تدفع إلى الجد والمثابرة.

(٦) هناك مؤسسات متعددة تنفق على العلم والعلماء مرتبطة بفئات متعددة من الدولة والتجار والأوقاف؛ لذا فإن الفقير يجد أمامه السبل سهلة ميسورة.

(٧) انتشرت رياض الأطفال المتمثلة في الكتاتيب، والتي يلحق بها أولاد الأغنياء والفقراء، وتعدهم إعداداً سليماً من حيث القدرة على القراءة والكتابة، فتؤهلهم للالتحاق بالمدارس، وكثير من الكتاتيب وُقفُ على الأيتام " [٢٦]، ورياض الأطفال هي التي تروض أطفال، وتفتق مواهبهم، وتصقلها، وتثقف عقولهم وألسنتهم عن طريق السماع والمشاهدة، وهي التي تفتقد تعميمها وشيوعها وما برحت تحت هيمنة المادة أو الوظيفة.

(٨) اكتشاف المواهب والميول والاستعدادات " أن كل صبي أن يعرف طرفاً من العلوم الضرورية في الحياة كالقراءة والكتابة والحساب، ثم عليه بعد ذلك أن يتجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه. إذ ليس كل واحد يصلح لتعلم العلوم، فإذا اتجه إلى العلم ليقصد العلم الذي يقبله طبعه؛ فما كل من يصلح لتعلم العلوم يصلح جميعها " [٢٧].

(٢٦) انظر الوزراء، الكتاب، ص: ٢١٢.

(٢٧) تاريخ التربية الإسلامية: ٢٩٨.



(٩) الكشف عن أهمية الإرشاد الأكاديمي للطالب " ينبغي للطالب ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض أمره إلى الأستاذ قد حصل له من التجارب في ذلك ما يفيد، فهو أعرف بما ينبغي لكل واحد، وما يليق بطبعه، وعلى المدرس " ألا يدعون إلى حلقته إلا من كان قادراً على استيعاب ما يجري فيها، فليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه " [٢٨].

(١٠) التحدث عن مقدرة الطالب واستيعابه، وتصنيف التلاميذ حسب قدراتهم العقلية " ألا يشرك الذكي مع الغبي في التلقي، فهو تقصير في حق الذكي وإرهاق للغبي " [٢٩]. ومن هنا فإني أقترح أن يكون هناك تأهيل فني ومهني بعد كل مرحلة من المراحل يتوجه إليها التلميذ أو يوجهه إليها المربي، حتى يتاح الإبداع كل حسب ميوله.

(١١) ترويض العقل على حل المشاكل، والاعتماد على الذات عن طريق غرس التفكير والتصدي لأية قضية، وتزويد التلاميذ بمنهجية عقلية تستطيع التميز بين الآراء عن طريق الاعتماد على الملاحظة العلمية، والمنهج الاستقرائي.

(١٢) التربية الإسلامية ذات صيغة شمولية في التزود بالمعرفة والأخلاق، وتهتم بالعناية الصحية النفسية والجسمية.

(١٣) التحذير من قرناء السوء، وتأثيرهم على تكوين الشخصية؛ فلا "يصادق من زملائه إلا المجّد الورع، وصاحب الطبع السليم "[٣٠].

(١٤) التفاعل مع الحياة، فالمجتمع له أهمية في تكوين عقلية الطفل، وكذلك الأسفار والرحلات العلمية ومجالسة العلماء.

والناظر إلى هذه الخصائص يجد تعانق التربية الإسلامية مع الآراء البناءة في التربية والتعليم الحديث المعاصر " والتي تعتمد على مبدأ الترابط، أو مراعاة الانتباه الترابطي، ومبدأ الميل والاهتمام " فقد حثوا على

---

(٢٨) من أقوال ابن سينا القانون ١: ٢٧، نقلها صاحب تاريخ التربية الإسلامية: ٢٢٩.

(٢٩) تاريخ التربية الإسلامية: ٣٠٠.

(٣٠) تاريخ التربية الإسلامية : ٣١٣.



استيعاب الأفكار المراد تعليمها، وانسجام الأفكار المستخدمة مع المختزنة في العقل من التجارب السابقة [٣١].

تعليم الطفل في المجتمع السعودي:

إن التعانق والتآلف والتوالد بين التربية التعليمية الإسلامية والمجتمع السعودي أمر ثابت لا ريب فيه؛ لأن هذا المجتمع وليد لأسلافنا الذين حملوا مشاعل الإسلام بين جوانحهم، وحملوا رايات الإيمان بإيمانهم، ونشروا الإسلام بعقولهم وقدوتهم ومثاليتهم عن طريق استلهامهم للتربية الإسلامية.

والمجتمع السعودي تركيبة بشرية متكاملة متفاعلة متوحدة الهدف والغايات؛ لأن قيمها الأساسية الثابتة مستمدة من التعاليم الإسلامية، غير أنه كان يسود الجزيرة بعض الخلافات المذهبية التي تتمثل في تعدد المذاهب لدى علماء الحرم المكي، إلى جانب النظم القبلية البدوية، غير أن الملك عبد العزيز – رحمه الله – عمل على إزالة هذه الخلافات؛ فوحد الجماعة، ثم اتبعه بتوحيد التعليم ومناهجه، وهكذا تكاتف المجتمع، وزال الخلاف المذهبي، ودأب بين الحضارة التي قوامها الدين الحنيف ومستعينه بالعلمانية المجردة التي توافق الدين والعقل.

ومع ذلك فإن لكل عصر من العصور النمط التعليمي والتربوي المناسب للطفل بفعل المتغيرات المستحدثة على الساحة الاجتماعية، وحيث إن المجتمع يخضع دائماً لعملية تغيير متصلة ومستمرة فإن التربية تصبح بدورها تخضع لعملية تغيير متصلة، ومستمرة أيضاً.

وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية تتمحور حول التربية الإسلامية؛ فتغرس العقيدة الإسلامية، وفي ضوئها ينطلق التعليم الروحي والجسمي والعقلي والخلقي والعملي، وهذه الأهداف متكاملة وشاملة لمتطلبات الحياة الإنسانية، فتحافظ على التوازن الفردي والجماعي والإنساني والتفاعل مع الكون والطبيعة، وهذا المبدأ مراعى في جميع المراحل الدراسية من الروضة حتى الجامعة [٣٢].

---

(٣١) انظر: التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، د. نبيل السمالوطي، ص: ١٥١.

(٣٢) ينظر كتاب سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية.



أهداف تعليم الطفل في المجتمع السعودي:

إن أهداف تعليم الطفولة تنبع من المنطلق الإلهي الذي يأمر الناس بالعبادة، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣٣]؛ لذا فإن التربية الإيمانية عنصر أساسي في تكوين مجتمعنا، ثم تنطلق الأهداف من خلافة الإنسان وتعميره للأرض واستصلاحها واستثمارها وارتباطه وانسجامه وتلاحمه مع المجتمع وتوازنه بين الذاتية والإنسانية، وكل هذا مرتبط ولا يتمخض إلا عن تنامي وتكامل التربية الجسمية والخلقية والعقلية والنفسية والاجتماعية، لتتلاحم هذه العوامل في تكوين الشخصية السوية للفرد السعودي، وأي خلل في هذه العناصر فإنه يؤثر على الصالح الفردي والجماعي والبناء الحضاري.

لذا فإن تعليم الطفل في بلادنا يسعى لتوفير الوسائل التي تساعد على تعليم الطفل وتنمية هذه العوامل المتشابكة في توازنّية معتدلة عن طريق التعزيز والاستبصار والمتابعة والملاطفة والتوضيح والتقليد والعناية الصحية والنفسية، وتهيئة الجو المناسب له لينمو في توازن واكتمال لشخصيته، وتتكون لديه العقلية التي تبلور السليم مع السقيم، والخير من الشر، وتكون قابلة للتطور، ولديها الاستعداد لتدبر المشاكل، واختيار الحلول السليمة، أو تجنب المشكلة، وقتلها في مهدها، وملخص القول: إن تعليم الطفل يشمل على: (١) التربية الإيمانية.

(٢) التربية العقلية.

(٣) التربية الخلقية.

(٤) التربية الجسمية.

(٥) التربية النفسية.

(٦) التربية الاجتماعية.

التخطيط لتعليم الطفل:

ومرحلة الطفولة وتعليمها في مجتمعنا السعودي قد أدركنا أسسها ومقوماتها وأهدافها من خلال التقائها بالتربية الإسلامية التي كونت المجتمع وصبغته بصبغتها، وأثرت على تكوينه وترابطه وتلاحمه وتوحد هدفه، ومع ذلك فلابد من التغيير والتطوير للمجتمع الذي يحتم المتابعة التربوية، والتي تقوم على التخطيط السليم.

---

(٣٣) سورة الذاريات، آية: ٥١.





والتخطيط لتعليم الطفل ضرورة حتمية لصالح الإنسانية، وبناء الحضارة، وعمارة الأرض، وقوة الأمة، وضمان استمرارية الوعي والفكر، ولاستقامة وضمان قدرته، ولضمان الاتزان بين متطلبات المجتمع وبين متطلبات الفرد ذاته وبين قدراته ومواهبه واتجاهاته وضرورة إلمامه معتدلاً بما هو ضروري للحياة في هذا الكون، ولصالح الفرد والمجتمع والدولة والأمة، ولذا كان لزاماً على الدولة أخذ التدابير التي تأخذ بيد هذا الطفل، وتجعل منه عضواً فعالاً منتجاً مثمراً قادراً قوياً متطوراً بانياً مفكراً.

وليس هناك من تشابك وانسجام واتحاد وتفاعل بين العملية التعليمية والتربوية أكثر منها في مرحلة الطفولة، فالتعليم مرتبط بالتربية؛ لأننا لا نستطيع أن نعطي الطفل معلومة مجردة في أغلب الأحيان، لأنها لا ترسخ إلا مرتبطة بالعملية والحركة اللتين تناسبان طبعه واستعداده في هذه المرحلة.

وقد أخذت دولتنا الرشيدة على عاتقها العناية بالعملية التعليمية للطفل، ولكن الأمر لا يقتصر على الدولة فحسب، وإنما يتكاتف معها المجتمع والأسرة والمؤسسات الخيرية وأصحاب الأموال والجامعات ومراكز الخدمة من حيث إعداد المعلمين والمرشدين، واستقرار واستبيان السبل الآخذة بناصية الطفل إلى النمو المتكامل.

المشكلات التي تواجه مسيرة تعليم الطفل:

والباحث في تخطيط التعليم للطفل وإعداده للحياة المستقبلية لابد وأن يلم بالمشكلات التي تعرقل مسيرة تعليم الطفل، وتقف في سبلها حتى يحددها ويشخصها، ومن ثم يمكن معالجتها، وبتخطيها وتجاوزها يتمكن كل طفل من الحصول على فرصة ينمي بها قدراته، ويبني شخصيته، ويسهم إسهاماً فعالاً في تقدم وتطور بلاده في النواحي الفكرية والعملية والاجتماعية والمادية، ومن هذه المشاكل التي تتمثل في واقع تعليم الطفل في الجزيرة:

(١) أمية التربية المنتشرة بين الآباء والأمهات والأقارب والأصدقاء، وذلك نظراً لقرب التطور التعليمي في البلاد، ثم جاءت الطفرة المادية، وانشغل الناس بها، والنقلة بين الحياة الريفية والرعوية، فلم يحفل الناس بتربية الأبناء والبنات كثيراً، الأمرُ الذي جعل اعتماد التعليم على المدرسة، فلا مواكبة للتعليم في المنزل، ولا متابعة مما أدى إلى ضعف الشخصية العلمية.



(٢) تكاثر الخدم والمربيات الأجنبيات على خلاف من الأسس التربوية الإسلامية والمنطقية معاً، فقد كان الأوائل يختارون المؤدب لأولادهم من العلماء والأتقياء والمصلحين، بل ويحثوهم على ذلك " ليكن اول ما تبدأ من إصلاح بنيك إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح ما استقبحت ".

أما المنطقية، فكيف تسند التربية إلى الخدم الذين لا يدركون اللغة، ولا يمتّون للعلم بسبب، ولا يتسم أغلبهم بالأخلاق الفاضلة؟ فمثل هؤلاء لا نأمنهم، ولا نوليهم تربية أبنائنا، وقد حذر عبد الملك بن مروان منهم، فقد قال لمؤدب ولده: " وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً ".

أما اليوم فإنهم يختلفون عنّا في القيم والمثل واللغة والدين، بل ويتعاقبون على تربية أولادنا؛ فمرة شرقية، وأخرى غربية.

(٣) صعوبة الحياة وكثرة متطلباتها وانشغال الناس بها، الأمر الذي أوجد عزلة بين الآباء والأبناء، وبين اجتماع الكبار والصغار والإنصات إلى أشراف القوم. فلم يكن هناك سماع لأعمال الخير وأفعاله وأقواله، واختفت القدوة الحسنة أمام الطفل، ولم يقم بالإرشاد السليم، ولم تحل المشاكل أمامه؛ فلم يتحدث القوم على مسمع من أبنائهم عن تاريخهم وتجاربهم وعواطفهم وأهدافهم.

(٤) عدم وجود ألعاب تعليمية تنمي العقل، وتطوره، وتفتق المواهب، وتكثفها، فاللعب ظاهرة حتمية لكل طفل، فيجب أن تستغل لنسرّب منها كثيراً من المعلومات للطفل بمجاراتها وتوجيهها، حتى الأماكن الترفيهية غير كافية، وغير موجهة بالقدر المطلوب.

(٥) ليس هناك تجمعات للطفولة موجهة ومراقبة تساعد على تداول المعلومات، وتحيي التنافس، وتصقل المواهب، ويتبادلون الخبرات، ويتناقشون، ويتحاورون.

(٦) قلة البرامج التعليمية في التلفاز؛ بل إن الموجود منها إما بلغة أجنبية أو مترجم إلى العربية، فليس هناك إنتاج محلي واقعي ميداني يجذب التلميذ ويشوقه.

(٧) قلة الكتاب الصالح للطفل، حيث يفتقد الطفل الكتاب الذي يناسب ميوله، وإن وجدت فهي غير موجهة وبتكاليف باهظة، ولم تتوفر مكتبات للطفل في الأحياء السكنية، ولم تنهض المؤسسات بنشر الدوريات والصحف التي تناسب تعليم الطفل.

(٨) ليس هناك تواجد للمؤسسات المشرفة على الطفولة، حتى ولو كانت تجارية تهدف إلى الكسب المادي، وتنمية المجتمع.

(٩) عدم انتشار رياض الأطفال النموذجية التي تهيئ الطفل للمدرسة.

(١٠) الانفصال بين الممارسة التعليمية والعملية، مما يكثف الجانب النظري، ويجمد التجارب الإنسانية؛ فيظل الطالب حتى يتجاوز العشرين بمعزل عن التطبيق العملي، مع أن العلم لم يوجد إلا للعمل به؛ لذا يجب الارتباط الدائم بين التعليم النظري والعملي، فالطفل يبدأ مراحله التعليمية بالمحاكاة العملية قبل أن يدرك الكنه والسبب، والعمل غريزة، وفطرة إنسانية.

(١١) التواصل الثقافي وتشابكه، وعدم القدرة على اختيار الصالح منه.

(١٢) فقدان الوعي الأسري والاجتماعي بأسس تعليم الطفل، حيث تكثر الأمية في الأسرة والمجتمع، أو تكون الأسرة في شغل شاغل عن أبنائها، أو لم تطلع على المستجدات التربوية والكيفية التعليمية للطفل.

(١٣) عدم المبادرة لاستئصال الجنوح الطفولي، ومعالجته في المدارس الإلزامية الخاصة، والتي تختص بأنظمتها الحازمة، بحيث تحجز الطفل، وتمنع اتصاله بقرناء السوء، وتسهل له سبل التعليم، وتغرس فيه حب العمل والخير.

(١٤) الطفرة المادية أوجدت اتكالية تكاسلية تميل إلى العبث والراحة والدَّعَة، فكان لها أثرها على بعض الأطفال.

(١٥) التساهل في التسرب من المدارس.

(١٦) تفكك الأسرة، وهذا لم يظهر في المجتمع السعودي ظهوره في غيره، لكنه طرأ عليه تغيير الأمر الذي يجعلنا نخشى التمادي فيه.

مصادر تعليم الطفل في المملكة العربية السعودية:

إن الراصد لمصادر تعليم الطفل في مجتمعنا السعودي يحصرها في المصادر التالية:

(١) الأسرة.

(٢) المجتمع.

(٣) رياض الأطفال.

(٤) وسائل الإعلام.

(٥) الملاحظة والمشاهدة.

(٦) المربي والمربية.

(٧) الوسائل الترفيهية.

(٨) جماعة تحفيظ القرآن.

(٩) كتب الأطفال.

(١٠) المدرسة.

أولاً: الأسرة:

الأسرة هي البيئة التي تحتضن الطفل، وهي تمثل المجتمع ورسالته أمام هذا الوافد الجديد، فيراها ويسمعها، ويحبها، ويعجب بها؛ لذا فهي تهيمن على تزويده بالمعرفة، بل إنها الحارس الأمين على تكيفه مع الحياة والمجتمع، والروحانية، وبلورة العقلية، والعناية بصحته الجسمية والنفسية، وتهذيبه، وتنمية مواهبه واكتشافها. وكانت في العصور الماضية المؤسسة التربوية الوحيدة التي تعنى بعملية التربية، حتى ظهرت ظروف أحاطت بها جعلتها تتخلى عن كثير من مسئولياتها، وظهر إلى جانبها مؤسسات ساعدتها في مهمتها، وكانت وظائف الأسرة تنحصر في ثلاث وظائف:

أ – المحبة المتبادلة بين الزوجين والأبناء.

ب – إنجاب الأطفال.

ج – تربية الأطفال.



والأسرة هي الأرضية التي يتكون خلالها نمو الطفل، فقد أثرت فيه أولاً: عن طريق المؤثرات التي توافدت إليه من العروق والأجناس التي تمت إليه بصلة نسب، والتي تتمثل في الجينات الوراثية المشاركة في بناء الطفل في رحم أمه، فهو حامل لهذه الخصائص في حياته. وثانياً: عن طريق تفاعل الطفل مع حياة الأسرة، واكتسابه مختلف المعارف والأنماط السلوكية والعادات والتقاليد، غير أن تأثره في سنيّه الأولى بأمه أكثر من غيرها، ثم أبيه، ثم بالأخوات الإناث ثم الذكور من هذه الهيمنة، ويلزم إيجاد جو أسري يسوده الاستقرار والتماسك والمحبة والحنان والتفاهم والاحترام؛ فإذا اتسمت الأسرة بهذا الجو فإنها تتمخض عن تكوين شخصية سوية قوية سليمة متزنة متدبرة غير متهورة، وستكون القاعدة السليمة لنموه الجسمي والشخصي والنفسي والفكري والعلمي، بخلاف الطفل الذي ينشأ في أسرة يسودها الخلاف والشقاق والخصام، وخاصة على مرأى ومسمع من الطفل، فإنه يتأثر بهذا الوضع السيئ، وينمو مع نفسيته، فيؤدي إلى ضعف الشخصية وعدم الثقة، ومن ثمّ لم يتسلح لمواجهة الحياة بشخصية متكاملة.

إذن فالأسرة لها دورها الكبير في تشكيل شخصية الطفل، وتشكيل سلوكه الاجتماعي وتأثيره على مسيرة الحياة، وعلى المنهجية الفكرية، والقدرات العقلية والتطويرية، وتحليل المشاكل، والتصدي لها.

ومرحلة الطفولة تتكون فيها المدركات الأولى، وتتكون اللغة وتتبلور فيها شخصيته، والأنماط السلوكية، والخبرات الفردية، وحب الخير، والعمل، والنجاح في الحياة.

الانحراف الأسري وأثره على الطفل:

يقول الرسول – ﷺ –: " كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ". فالتأثير السلوكي للأم والأب والأسرة بكاملها بالغ الأهمية، فالأسرة تمثل الكتاب الأول الذي يقرأه الطفل؛ فيرى فيه العمل والعلم والشعور معاً، فهو يرسم صورة فوتوغرافية في اللاشعور والشعور معاً، فيظل مخزوناً حتى ينمو عن طريق الانفعال. والواقع أن الأسرة المتقدمة في الغرب غرست في نفوس أبنائها حب النظافة والدقة، وحشت عقولهم بالمعلومات، وغرست أيضاً عوامل تفكك الأسرة وشتاتها وضياعها، وزرعت حب المادة والحرص عليها، وفات عليها تنمية الروح الإيمانية، وعملية التوازن بين العواطف الفردية وعواطف الترابط الأسري والاجتماعي.

ولم تشعر بأهمية التوازن والاعتدال بين الماديات والروحيات؛ الأمر الذي أوجد الانحراف وإشاعة الفساد، وليس أدل على ذلك من الإحصاءات التي أعلنت أن عوامل التربية داخل المنزل قد تصل نسبة الانحراف فيها – حسب إحصائيات مدونة – إلى ٧٦ % [٣٤].

وعلى الأسرة تنمية مواهب الطفل وصقلها وشحذها عن طريق التدريب والتمرين وعملية التعزيز والتشويق والاستبصار، كأن يلقي على الطفل أسئلة قريبة المتناول، ومتى أدركها الطفل يعلن الثناء عليه، ويكرر ذلك، ويشهد بذكائه بين أخوته، وكل صفة ترغب وجودها يتبع فيها هذا المنهج من حيث تنمية الأخلاق والتفكير السليم والعمل الجاد وإتقانه.

وتغرس الأسرة الإيمان وأعمال العبادة بالمحافظة عليها، وتعداد أعمالها، وصحبته في أداء الشعائر، ومثل ذلك القراءة والكتابة، والطفل يأخذ فكرة وصورة عن نفسه، وتتكون شخصيته من حصيلة ما يفهمه من المحيطين به، فإذا ما أشير إليه بأنه ذكي فغالباً ما تصحبه هذه الخصلة، وإذا وسموه بالعقلانية فإنه يمتنع عن بعض الألعاب حتى تثبت له هذه الميزة، وإذا أشير إليه بالبخل فإنها تظل خالدة في نفسه؛ فيكون أكثر حرصاً.

ومن الأفضل أن تهتم الأسرة بالناحية التعليمية عن طريق تنمية حب الاطلاع التي تتكون مع الطفل عند الكلام، فهو يكثر من الأسئلة التي تؤدي إلى مزيد من التعليم، ومن هنا يجب تشجيعه على تكرارها، وتوضيح الشرح له، ويحبب له معرفة الأشياء المجهولة، بل وينمي منهجية التفكير والتدبر وحل صعبها حتى يستمتع بالكشف عن المجهول، فيكون مبدأ تعليمياً جيداً.

والأسرة تمثل الجامعة الأولى التي يستقي منه الطفل، فهي التي تملي عليه كيف يأكل؟ وكيف يتكلم؟، وكيف يتصرف؟، وتكون إجابة هذه الأسئلة من الواقع العملي الطبيعي في الأسرة، وغير المتكلف، وهو في مرحلة الطفولة يتعلم ظاهرة المشي والنطق، وتنظيم الوقت، فيعرف متى ينام، ومتى يتغذى ومواقيت ومواقع كل منها، ويحاكي أسرته في التصرفات الاجتماعية التي تظل غارسة في آليات الطفل الذهنية التي يصعب التفكك منها، وظاهرة التعليم من الأسرة ظاهرة فطرية لا ينتظر الطفل من خلالها بأنها عمل إجباري وإلزامي؛ لذا فإن الأسرة الواعية هي التي تعمل على استمرارية هذه النظرية البديهية، فتواصل مسيرة التعليم على الأسس التربوية السليمة، فيكون التعليم هاجساً في نفس الأب والأم يوحدون به ولا يعلنونه.

---

(٣٤) ملف الثقافة والفنون، محرم ١٤٠٠ هـ.



الأم في المجتمع السعودي:

ونحن لو نظرنا إلى الأم في المجتمع السعودي لتفاءلنا من جوانب كثيرة؛ فالأم السعودية مستلهمة الروح الإيمانية، تسير وفق العقيدة الإسلامية ومتحلية في أغلب الأحيان بالثوابت الاجتماعية السليمة؛ لذا فإن الثوابت الاجتماعية والأمور التوفيقية الشرعية مستحوذة على فكر الأم، فتستمد منها نوراً تهتدي به، وضميراً يحرسها، وقلباً مؤمناً يوحي لها. مما يؤثر تأثيراً بيناً على تعليم الطفل وتربيته، غير أن هناك كثيراً من المتغيرات التي لا محالة من وجودها في كل زمان ومكان، فيفضل التفاعل السلوكي والاجتماعي والثقافي والسياسي والصناعي والمكاني والزماني، مما نخشى من بعضه أن ينحى إلى الجوانب السلبية إذا لم يتيقظ له رواد مجتمعنا، ويوجهوه الوجهة المستقيمة ذات الأهداف الربانية والإنسانية والإصلاحية، ويقوم على استلاب الشوائب الاجتماعية وتثبيت الجذور الخيرية عن طريق معرفة الحق والخير والجمال والرغبة في استشعار الفرد لها.

والناظر للعوامل المحدقة بالأم في مجتمعنا يجد أن الأم بين متعلمة واعية بوظيفتها، تسير وفق ثوابت التربية الإسلامية مع الأخذ بالقياسات الصافية العصرية التي تفتق عنها الفكر الحضاري المتطور، وأم متعلمة، غير أنها متذبذبة بين قنوات سلوكية وهدفيه استلهمتها عن طريق الجسور الثقافية العالمية، والزحف الثقافي كثير ما يطغى على السلوك الإنساني، ولو لفترات قصيرة، أو متباعدة، أو متقاربة.

وهناك من الأمهات من تستسلم لميول الأقارب والأصدقاء والمجتمع الملتف حولها، فنجد أن كثيراً من (الموضات) النسائية تتوافد وتلاقي رواجاً بدون مرورها على التعاليم الربانية والعقل الناضج والفكر السليم. وأنت إذا أردت الإقناع فلا إجابة على تساؤلك، إلا أنها (الموضة) أو اتجاه العصر، وكأنها الحجة والبرهان المنطقي القاطع. وهذا المجتمع وأحاديثه يؤثر على عطاء الأم لطفلها، فيشد الأم إلى أشياء كمالية غير ضرورية من أجل المناظر الخادعة وإرضاء الغوغاء، ثم تعمل على اختفاء كثير من المحادثات البناءة التي تعالج القضايا الاجتماعية بعامة، والطفولة بخاصة، الأمر الذي أدى إلى انحسار الجدل الجدي في المجتمع النسوي، اللهم فئات قليلة أكاديمية في أغلبها، ثم إن الأمهات اللائي نلن حظاً من التعليم، وتنويراً فكرياً، ووعياً بوظائف الأمومة أحجمن عن تنوير الأمهات اللائي فاتهن قطار التعليم، والوعي بمهام الأمومة.

والأمهات جميعاً متأثرات بالنقلات الحضارية المادية والفكرية والصناعية والمتغيرات السلوكية، حيث لم يمض الوقت الكافي حتى يتم التكيف الإيجابي.



والعناية بإعداد الأم لتكون على وعي بتعليم الطفل وتربيته أمر ذو أهمية قصوى، وهو مطلب تنموي وحضاري؛ فالأبناء هم فلذات الأكباد، وهم الامتداد الإنساني، نرى فيهم سر البقاء والخلود؛ لذا كان من الفطرة أن يكون تعليم الطفل رغبة أكيدة عند كل فرد، غير أن بعضهم يقوم بتجسيد هذه الرغبة، والآخر يتجاوزها مع تأنيب الضمير والشعور بالإثم، وآخرون عجزوا عنها لعدم القدرة العقلية، أو لعدم الوعي بالكيفية، أو لضعف الشخصية من ولي الأمر ذاته.

وتنمية معلومات الطفل أمر يهم الدولة، فتعتبره جزءاً من التنمية، بل هو أكسير الحياة لها، وهي أمر مهم للمجتمع الذي يتلاحم، ويتفاعل، ويشد بعضه بعضاً، وأي خلل في عضو من أعضائه، أو حجر من بنائه ينسحب أثره على كامل البناء، ومن الخير له أن يشارك في تحمل المسؤولية، وإدراك أبعادها، وتوعية المجتمع بها، وأن كل فرد معنياً بها.

وإعداد الأسرة وتربيتها وتعليم أبنائها أمر مهم لرجال الأمن؛ لأنه متى تعلم الطفل وعلم أصول التربية صلح كفرد في المجتمع، لذا فهم يتمنون تربية تحصن صاحبها حتى لا يقع، وينتشلون من وقع في براثن المخدرات.

والطفولة، وتنميتها، وإعداد الأم والأب والأسرة الواعية من وظائف المؤسسات الخيرية، لأن التربية والتعليم هما العمود الفقري للإصلاح.

والإعداد لتربية الطفل وتعليمه من وظائف الجامعات، فتكون هناك مادة إرشادية لكيفية تعليم الطفل وتربيته، وكذلك عن طريق البحوث والندوات والمحاضرات والاستبيان حتى تصل إلى حقائق تفيد في تنمية معلومات الطفولة، وكذلك مراكز الخدمة الاجتماعية في الجامعات، لها دورها، حيث تقيم الدورات، وتصدر النشرات الإرشادية، وتطبع الكتب التي تتناسب وعقلية الطفل.

كما أن التلفاز والمذياع لهما دورهما في توعية الأم والأب، حيث يصلان إلى دارهما، ويتنقلان معهم في أفنية المنزل.

إن مفهوم التعليم الذي يتناسب والطفل يتعانق مع مفهوم التربية الأعم والأشمل أيما تعانق، فالتعليم لدى الطفل في مراحله الأولى، وهي ما تسمى بالمبكرة يتضمن تعليم النطق، وغرس الروح الإيمانية، وتعليم المهارات العقلية والجسمية والنفسية والمنهجية والعملية، ويستهل الطفل مراحله التعليمية بالتقليدية الفعلية، والحركية والصوتية، ويدرك الأمور التقريرية، والانضباطية، ولا ينحصر في مفهوم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب فحسب،

إنما هذه وسيلة لما هو أعم وأشمل وأثبت.. إنها عوامل مساعدة للتطبيق العملي " قل اعملوا فسيرى الله عملكم " التوبة ١٠٥. والعلم وسيلة وقانون وخبرة لنجاح العمل " لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " الزمر: ٩.

وأن مرحلة العلم والعمل النظري مرحلة متأخرة تحتاجها الأمة حينما يبرز علم وعمل العالم، ويتوج بالصلاح والتقى، فيفرغ من أعماله الخاصة المحدودة الفائدة لما هو أنفع؛ ليكون علمه منائر يهتدى بها.

والطفل يتعلم بنظراته المتابعة لأسرته، ويتعلم بأحاسيسه وإدراكه للحركات مهما حاولنا من التستر عليها، والطفل أول ما يتعلم الحركة والعمل، فالعمل فطرة، والعلم تطوير يصلح للعمل ويوجهه؛ لذا فإن الثوابت العملية التي تعلم الطفل من خلالها، والتي قلد بها والديه تبلور منهجيته السلوكية، والعملية، يقول الشاعر العربي القديم:

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

وظائف الأسرة التعليمية:

(١) وجود الجو العائلي المتحاب المتناسق المتعاون الذي يسوده التفاهم، فإذا وجد اختلاف بين الزوجين فالأفضل أن يتفقا على كيفية التعامل، ويؤيد أحدهما الآخر.

(٢) تكوين مكتبة ومكان للمطالعة، وتعليم الطفل كيفية الاستفادة منها، ومن الوسائل السمعية والبصرية، وبرمجة الوقت لكافة الموجودين بالمنزل حتى يكتسب الطفل الحرص على تنظيم وقته.

(٣) طريقة تفاعل الوالدين مع المشاكل المنهجية العلمية في ترجيح الحلول المقترحة بعد تحديد المشكلة عن طريق الملاحظة العلمية.

(٤) الكشف الطبي على حواس الأطفال؛ لأن عدم الإدراك ربما يعود لمرض عارض، فمثلاً الطفل إذا تأخر عن الكلام فالأفضل الكشف على سمعه، لأن ضعيف السمع لا يستطيع أن يقلد الكلام، فيتأخر في النطق الفصيح.

(٥) تعليم الطفل على الصدق في القول والعمل مهما كانت النتائج، وتعويده على شرح سلوكه مع الآخرين، ويمكن توجيهه بطريقة لبقة في حالة الخطأ المتكرر.

(٦) يعلم الآداب السليمة والذوقية مع أفراد الأسرة والمجتمع، فيحترم الكبار، ويعطف على الصغار.

(٧) استخدام الوسائل التعليمية، وتكثيفها أمام الطفل.

ثانياً: المجتمع:

في طبيعة كل مجتمع في السعودية، وغيرها من دول العالم لابد وأن يطفح تمايز في الطبقات، فهناك أسر قادرة وغنية تلبي الرغبات المنهجية لتعليم الطفل، غير أن بعضها عاجز عن زراعة النمذجة السلوكية، وغرس الإيمان بسبب تشاغل الأسرة عن الأبناء، واعتمادهم على المربين والمربيات الذين لا يمتّون إلى السلوكية القويمة، ولا الروحانية بصلة في أغلب الأحيان.، بل ربما تظهر حالة الانفصال بين ما يتلقاه الطفل من هؤلاء والواقعية الاجتماعية.

وهناك فئة وسط متنورة قادرة على مواكبة المنهجية التعليمية في الأسرة ذاتها وفي رياض الأطفال والمدرسة.

وفئة أخرى تسود الأمية فيها الآباء والأمهات، ومستواهم المعيشي لا يساعدهم، أضف إلى ذلك فكرهم الذي يحول بينهم وبين عملية التوازن، وهؤلاء يمثلون أحياء كثيرة في أطراف المدن وداخلها، وهؤلاء يجب أن يعتنى بهم عناية مركزة لكي يرسوا على شاطئ المعرفة والوعي، وينحصر التعليم من هؤلاء في التربية الإيمانية مع الحاجة إلى تثقيف وتنوير، أما العادات والتقاليد فتحتاج إلى إرشاد وتوجيه حتى تنهج المنهج القويم.

أما مؤازرة التعليم ومنهجيته وسبله السليمة فلا اثر في هذه البيئة، وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل إن الإهمال وعدم العناية وفقد الرقابة للطفل تنعدم عند التحاقه بالمدرسة، والمجتمع توجد بينه فئات لم تعِ بالمهمة التعليمية للطفل، وهي في شغل شاغل، فالرجال يعملون، ويتحادثون في شئونهم، ولا يألفون مجالسة الأبناء والتحدث معهم ومعرفة مشاكلهم، والنساء لا يتورعن عن أحاديث الأزياء وظواهر الإسراف والتبذير، وظاهرة الجلسات الاجتماعية شائعة وضارة للأسرة والأطفال.

وهذه الظواهر وغيرها أفرزت بعض المنحرفين، وما زالت إن لم يجدَّ المجتمع في تخطي تلك العقبات ومعالجة أضرارها؛ لذا فإن على منفذي التربية أن ينظروا إلى هذه الظواهر، ويقضوا عليها عن طريق إيجاد رياض للأطفال برسوم زهيدة، ووجود حلقات تقوية في المدارس، وتعليم القرآن في المساجد مع إرشاد يتناسب والأطفال، وكذلك تسهم الجمعيات الخيرية، وتصلح ما تستطيع إصلاحه من ناحية الاحتضان والتنوير معاً.

ومن ناحية أخرى فإن الإخوة الأقارب والأصدقاء المترددين على المنزل، والمختلطين بالطفل لهم تأثيرهم على علمية الطفل؛ فهو يسمع منهم، وينقل بعض الأفكار والألفاظ والأعمال والسلوك، ولا سيما إذا كانوا



يمثلون ثقافات متباينة، وتجارب علمية وعملية، مما يجعل الطفل تائهاً حائراً، فتكون عاقبته التشكك وعدم الثقة، مما يوجب مراقبة أبويه لتنوير الطفل وتوجيهه " (٣٥).

كثرة الاختلاط بين المجتمع السعودي وخاصة الأقارب له دور كبير في تعليم الطفل وتنمية قدراته، فربما كان لها بعض الإيجابيات بين الأطفال، لكن هناك بعض السلبيات مثل إظهار العطف الشديد على الطفل، ومناصرته أمام والديه، وعملية المقارنة بين ذكاء الأطفال وتفوقهم، والملابس والتنافس في الماديات، ومن الأفضل أن يراعي الوالدان هذه الأمور ويعالجاها حسب مقتضى الحال، كالتعليل والتوضيح والنفي والنقد أحياناً " (٣٦). وزاد في الآونة الأخيرة على المجتمع والأسرة الخدم الذين يتعاملون مع الأطفال، وظاهرة تقليدهم منتشرة تدعو للأسى والحزن.

والمجتمع السعودي يقوم على ثوابت تربوية سليمة منحدرة من التعاليم الربانية، وهو مكون من تركيبة اجتماعية ذات أهداف موحدة؛ لذا فإن هناك اقتناع وتعاطف مع التربية الإسلامية يتمثل في التكاتف والتعاون والتآزر والتلاحم بين أبنائه، وليس في داخل البلاد، وإنما يتلاحمون مع كل فئة إسلامية مضطهدة يعملون على نصرتها ومؤازرتها، كما هو الشأن مع الأخوة الأفغان، ومع المجاعة الأفريقية.

وثوابت المجتمع انطلق منها تخطيط التعليم السعودي لأنها تتوالد مع التعاليم الإسلامية السمحة، ولذا فإن كل فئة من المجتمعات – وإن اختلف اتجاه تعليمها – متفقة على ترسيخ الروح الإيمانية والسلوكية، وأنها محور التعامل البشري مع الحياة والكون، ونحن لا نستطيع حصر القيم الحسنة في هذا المجتمع الطيب، ولكن أخشى ما نخشى عليه تعرضه للتيارات التي تتسرب عبر قنوات الاتصال العالمي المتشعبة والمتنوعة، ولابد من تضافر جهود المثقفين والمفكرين ورواد التعليم حتى نبني أجيال المستقبل على أسس سليمة، لذا فإن المجتمع مسؤول عن إعداد مؤسسات تقوم على تعليم الطفولة، والمساهمة في التوعية، وغرس الفضائل والعمل والإخلاص، وخدمة المجتمع في تعليم الطفولة وتربيتهم.

والمجتمع أحوج ما يكون إلى توعية منهجية عن طريق التدريس الإجباري في مدارس البنات، فتكون هناك مناهج ذات صبغة تربوية حتى تحمل الطفلة هاجس التعليم والتربية المستمرة، وتستحوذ على جانب من

---

(٣٥) جريدة الرياض العدد ٦٥٤٨ في ٢٠ رمضان ١٤٠٦ هـ، الطفل والتربية المنزلية.

(٣٦) جريدة الرياض، العدد ٦٥٤٩ في ٢١ رمضان ١٤٠٦ هـ، من مقال د. محمد خضير عباس.



الأحاديث السارية في المجتمع، ومن ثم تتفاعل في فئات المجتمع، وليس في المدارس فحسب، وإنما يكثف في مدارس مكافحة الأمية.

ولكن قبل ذلك يجب تأهيل المعلمات وإعدادهن الإعداد الجيد، والذي يضمن التواصل والاستمرار والنمو والتطور، فتتضمن المناهج الأساليب النافعة والناجحة لتعليم الطفولة، وتعقد الدورات والندوات والمحاضرات، ثم إن المعلمات والموجهات والإداريات يقمن بالواجب، ويتفاعلن مع المجتمع، وترتبط كل مدرسة بالأمهات في الحي، وتستقصي المدرسة مشاكله، وتختار موضوع الندوات والمحاضرات والأساليب الفاعلة الأخرى.

والمجتمع مسؤول عن تنمية قدرات المعلمات أنفسهن من قبل إيجاد الحوافز المعنوية، والتعاون في هذه السبل، وإحياء الوازع الديني والضمير الوطني، وهذا ليس من الصعوبة في شيء، فالتوعية الاجتماعية، والارتباط مع أساتذة الكليات للبنات في المنطقة، والتعاون مع مراكز خدمة المجتمع، وإثارة حوار ونقاش وجدل حول الأمور. كل ذلك شأنه تنمية قدرات الطفولة وتربيته.

ثم إن الجمعيات النسوية الخيرية المتناثرة في مدن المملكة العربية السعودية يجب أن يكون لها وظائفها الفعالة التي تعالج قضايا الطفولة وتربيتها عن طريق التوجيه والإرشاد عبر برامج متنامية تشمل طبقة عريضة من المجتمع، وتختار ما هو ضروري، وما تقتضيه المصلحة العامة، وتحاول زراعة النظام والنظافة مما يؤدي إلى المنهجية وتنمية تعليم الطفولة، والأمر يستدعي دراسة متعمقة لمعرفة المشكلة أولاً، ثم كيفية معالجتها ثانياً، وتوصيل المعلومات وإرشاد الأمهات ثالثاً، ويكون هناك تنسيق مستمر بين هذه الجمعيات والكليات وإدارة التعليم.

والمعلمون فإنهم يحتاجون إلى الحوافز المعنوية من المجتمع، وأن يسهم في برامج التوعية الشاملة عن طريق التعليم المستمر، وتنمية القدرات وتطويرها بواسطة عقد الدورات والندوات المحلية، وتكوين مجموعات من المعلمين والمجتمع ترعى الإشراف التربوي وتوجهه، وأن يكون التوجيه والإرشاد في إدارة التعليم ينبوعاً يمد بالحركة التربوية، ويغذيها، ويرعاها، وينميها، ويطورها، ويمدها بالحياة والإثارة، وطرح المشاكل الواقعية، وإشراك المعلمين في استبياناتها وحلولها، مع استدعاء العلماء وأساتذة الجامعات لزيارات ميدانية إرشادية، وعقد ندوات ومحاضرات حول تعليم الطفولة، وكيفية توصيله عبر القنوات للمجتمع، ومحاولة تجديد الوعي، وإحياء الضمير وإثارته، وجعل تنمية التعليم للطفل هاجساً حاضراً في ضمير كل معلم.



عوامل مساعدة:

من المشاكل التي تعرقل مسيرة تعليم الطفل في مجتمعنا انشغال الآباء في مرحلة التكوين التعليمي الأولي، فليس هناك حضور من الآباء حين تفتق قريحة الطفل، وهذا لا يعود لتراكم العمل، وإنما ينجم عن عدم الوعي باستثمار التعليم في هذه المرحلة، وعن الجهل بالكيفية التي تؤدي إلى استلهام المعرفة في سن الطفولة، وكذلك عن هيمنة العاطفة عند تربية الأبناء، وخاصة لأولئك الذين لم ينجبوا إلا في مرحلة متأخرة، أو يدلل طفله الأكبر، من ثم يقتدي به الذين هم أصغر منه سناً، أو يكون الآباء من الذين تقدمت بهم السن فيعجزون عن المقدرة الإشرافية، وربما هيمنت آراء الأم، أو تعارضت التوجيهات بين الأم والأب، ومن الآباء من يكون متخلفاً عقلياً؛ فلا يستطيع مراقبة أولاده وتوجيههم، ومنهم الآباء الفقراء الذين لا يستطيعون إلحاق أبنائهم في رياض الأطفال أو شراء المستلزمات المدرسية.

وأكثر من هذا وذاك شيوعاً الأطفال الذين يفتقدون آباءهم، فهم غالباً ما يتعرضون للإهمال والضياع، هذه نماذج سلبية لمسناها أثناء الأداء التعليمي، ومن خلال الإحصاءات رأينا أن أبناء هذه الفئات من المجتمع، إلى جانب من تجذبه للانحراف معها يمثلون الأغلبية الكبرى بين المتسربين من المدارس، فضاعوا، وضاع من اقتدى بهم، إلى جانب تأثيرهم السلبي المتنامي على كيان المدرسة وهيبتها، فيدرك زملاؤهم بأن لا عقاب ولا رادع مما يدعو التلاميذ للتمرد لغلبة العاطفة والهوى على الأطفال. ومن الأفضل إيجاد ضوابط وكوابح لمثل هذه الفئات تنتشلهم من غيهم وفسادهم، وتصلح شأنهم. وذلك بعزلهم عن المجتمعات المدرسية، وإلحاقهم بمدارس إلزامية أكثر حزماً وإشغالا للطفل، ولا يخرج منها إلا بعد أن يغسل مخه، ويوثق من تهيئته للعمل، وقد رأينا بذوراً أولية لمثل هذه المدارس في بعض المدن أثبتت فعاليتها ونجاحها رغم أنها تحتاج إلى نوع من التطوير مثل مدارس الرعاية والتوجيه، ودور الملاحظة الاجتماعية، وأن مثل هذه المدارس لو عمت مناطق المملكة، وصقلت بأنظمة حازمة، وطالت مدة الإقامة فيها، وأشغل الطلاب بالتدريب العسكري والعمل المهني والرياضة الفنية والبدنية، كل حسب ميوله، إلى جانب الدراسة المنهجية، لكان فيها علاجٌ فعال من حيث تعليم الطفولة تعزيزاً للمدارس الأخرى.

ومن الأمور المهمة التي تعزز عملية التعليم أن يكون هناك وضع خاص لجنوح الطفولة عبر القنوات الأمنية فيها بمشاركة من إمارة المنطقة ورجال الأمن والتعليم والمحاكم، وذلك بتكوين لجنة خاصة لكيفية استقبال المنحرفين ومعاقبتهم، ويؤخذ في الاعتبار عدم تماديهم وتجاسرهم على رجال الأمن، فيكون لديهم سلطة متعقلة



تؤلم، وترهبَ ولا تضر بالنفس والجسم معاً، ظاهرها التعذيب، وباطنها الرحمة والتأديب، مع لقاءات خاصة بلجنة إرشادية تحذيرية خاصة بالأطفال والمراهقين، ولو عن طريق الأفلام التي تحتوي على محاضرات وندوات وأفلام خاصة بالإرشاد، زيادة على التوجيه المباشر وإيضاح الطرق السليمة وغرس المسلمات التربوية الإيمانيه مع محاولة عزل الطفل وانفراده داخل المناطق الأمنية حتى مع المتقاربين له في العمر إلا في حالة الإرشاد والمراقبة فقط.

ثالثاً: رياض الأطفال:

رياض الأطفال بمثابة الكتاتيب في العهد القديم، فهي التي تهيئ الطفل للالتحاق بالمدارس، فتصقل مواهبه، وتعلمه مبادئ القراءة والكتابة، وتكون واسطة بين الأسرة والمدرسة، وتعتمد على وسائل إيضاحية وفنية حديثة ومتطورة، ويكون التعليم فيها بأساليب تناسب الطفل وإدراكه واستعداده وعقليته، وتعتمد في تعليمها على الملاحظة والمشاهدة والملاطفة والتحاب والمقارنة. ورياض الأطفال من ضمن المراحل التعليمية المعتمدة من وزارة التربية والتعليم، ولكن إسهام الوزارة في إنشائها مازال ضعيفاً، وهناك رئاسة تعليم البنات، لها دور جيد في احتضان أطفال المعلمات، ووزارة الدفاع والحرس الوطني، غير أن الأكثر نشاطاً هو القطاع الخاص بترخيص من وزارة التربية والتعليم، فهذه لا تخلو مدينة من مدن المملكة من دور للحضانة، بعضها يتسم بالإبداع، وكثير منها دون المستوى المطلوب، وكذلك الجمعيات الخيرية، افتتحت كثير من رياض الأطفال، ومع كل هذا فإن رياض الأطفال في المملكة مازالت في حاجة إلى دعم يضمن انتشارها وعموميتها وشموليتها، والقائم منها يشرف عليه كثير من الغرباء على المجتمع السعودي، فتختلف لهجة الطفل وعاداته وسلوكه، كما ينقصها ترويض لغة الأطفال سماع وتقليد الأصوات الفصيحة في قراءة القرآن الكريم.

رابعاً: المدارس:

إن نمو الطفل جزء لا يتجزأ من التنمية العامة الشاملة، بل هو العنصر الأهم والمتفاعل، وبه وله تكون التنمية، فهو المستفيد والمفيد إذا اكتمل نمو شخصيته، وزود بالمعرفة التي تنير سبله العلمية، وكونت له منهجية عقلانية ومتطورة، وأكبر مؤثر في ذلك المدارس الابتدائية، ووزارة التربية والتعليم، وشؤون تعليم البنات قامتا بجهد كبير، فانتشرت المدارس حتى أصحبت بالبادية في تنقلها وترحالها وتستوطن الخيام كما يستوطنون، وهي خاضعة لعملية تطويرية مستمرة عن طريق اللجان المختصة، ومع ذلك تبرز لنا بعض المشاكل والعوائق التي



تقف في وجه العملية التعليمية واكتمالها، ونحن نحصر الأهم من هذه العوائق حتى يتضح أمرها، ويسهل حلها ومعالجتها:

(١) من المشاكل والعوائق التي تواجه الطفولة في مجتمعنا بعد الإدارة المدرسية عن الحياة الاجتماعية، وعدم الإلمام بجوانب الإيجابيات والسلبيات، ومعالجتها عن طريق التصرف فيها. ثم إن الإدارة المدرسية لم تصل إلى مرحلة الديمقراطية المطلوبة التي تساعد على تطوير المناهج وطرق التدريس حسب المتغيرات، وتقتبس من الإبداعات الفكرية لدى العاملين فيها.

(٢) الاهتمام بالمعرفة المجردة وتعليمها تعليماً نظرياً، والابتعاد عن الجانب التطبيقي والعملي، علماً بأنه الجانب المهم للطفل، فالعمل هو الذي يلائم الطاقة الحركية لدى الطفل، فعن طريقها تكتسب المعرفة والخبرات والإنجاز؛ لأن العمل يشترك فيه أمور كثيرة من قدرات الطفل العقلية والحسية والبصرية والسمعية والحركية؛ لذا فإنه إذا عالج موضوعاً ما بالعمل يدرك جوانبه.

(٣) الطالب لم ينزل للميدان الاجتماعي، ويواجه المشاكل بنفسه، ويصطدم بها عقله، فيواجهها، ويتدبرها، وإنما هو بمعزل عنها.

(٤) الكثافة العددية في الفصل تقف في وجه التعليم المباشر والمحادثة والحوار.

(٥) خلو المناهج من الأحداث المعاصرة في المجتمع، الأمر الذي يحجب الوعي عن الأطفال.

(٦) بعد المناهج عن التطبيق العملي الاجتماعي والاعتماد على الذاكرة، فلا توجد في المدارس حرف مهنية منهجية، ولا أعمال يدوية، ولا نماذج صناعية صالحة للتركيب العملي.

(٧) ضعف الإرشاد الفعال الإسلامي والاجتماعي والوطني، ولو ألحقت بالمنهج، وجمع لها أكثر من فصل لكان في ذلك فائدة جيدة نظراً لقدرة القادرين عليها.

(٨) يتصور الكثير أن عقلية الطفل لا تدرك المشاكل المنزلية والأسرية والمدرسية والاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى تجنب الخوض فيها أمام الطفل، وهذا يعزل الطفل، ويجمد فكره، ويزرع عدم المبالاة.

التوجيه والإرشاد:

التوجيه والإرشاد عملية ضرورية، وذلك لمتابعة المتغيرات الاجتماعية، ومعرفة تأثيرها على الطفولة، وتعليمها، وحصرها، والاستفادة من إيجابياتها، ومعالجة سلبياتها. والتوجيه ضرورة للمدرس حتى يمكنه من المتابعة والتطوير المستمر، وتنمية معلوماته ومواصلة التربية الإنسانية. والتوجيه والإرشاد يجب أن يراعي فيها احتياجات



الطفل وقدراته، والظروف التي يعيشها، فنلاحظ الإيجابيات التي يجب تنميتها، ونحذر من السلبيات التي يخشى منها، وهذه مهمة فكرية وعملية واستبيانية تحتاج إلى مجهود كبير من ذوي الاختصاص ووعي المجتمع، والعملية التعليمية ومتطلباتها، والأفضل أن ترعاها وتنميها إدارة التعليم في كل منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية؛ فتكون هناك إدارة مركزية تقوم على جمع المعلومات الصحيحة، ومعرفة المشاكل التي تقف عثرة في وجه الطفولة، وتكون هذه الإدارة مسئولة عن وضع برامج لمعالجة القضايا الطارئة عن طريق العلماء والمختصين.

وهناك لجنة دائمة في كل مدرسة تقوم على تفحص التلاميذ ومعرفة مشاكلهم وحصرها وتصنيفها، ثم محاولة معالجتها عن طريق القادرين في المدرسة، والاستعانة بمكتب الإرشاد في إدارة التعليم إذا لزم الأمر " [٣٧].

وقد عمدت وزارة التربية والتعليم إلى إصدار نشرات تحتوي على إرشادات للموجهين، وتطوير فكر المعلمين لو أخذ بها لساعدت على حل قضايا ومشاكل تعرقل تعليم الطفل، نقتبس منها ما يتعلق بمساعدة المعلم، وتطويره، وتنمية معلوماته:

- مساعدة المعلم على الوعي التام بأهداف المادة الدراسية التربوية والتعليمية، وبكيفية اشتقاقها وصياغتها، وبأساليب تحقيقها وتقويصها.
- توجيه المعلم لاتباع أفضل طرق التدريس المناسبة لطلابه، وموضوعات المادة العلمية المقررة.
- تبصير المعلم بأهمية استخدام الوسائل التعليمية المناسبة، وتشجيعه على إنتاجها بما يساعد على تحقيق تدريس المادة.
- مساعدة المعلم في كيفية تفهم شخصيات طلابه، ومواجهة مشكلاتهم، وتنمية استعداداتهم وقدراتهم وميولهم ومهاراتهم.
- تنمية مهارات المعلم وقدراته، ومساعدته على توظيفها لرفع مستوى أدائه.
- تنمية قدرات المعلم على التفاعل مع طلابه، وعلى إدارة الفصل وفق أسس تربوية سليمة.
- توجيه المعلمين على البحث العلمي والتربوي الهادف، والاشتراك معهم في دراسة الظواهر التربوية والتعليمية الميدانية، ومساعدتهم في التخطيط للوقاية منها وعلاجها.

---

(٣٧) انظر مقال الاتجاهات العلمية في تخطيط برامج التوجيه والإرشاد، د / غازي أبو شقرا، رسالة الخليج العدد ١٥ عام ١٤٠٥ هـ.





- تدارس اللوائح التعليمية والتربوية والنشرات والتعاميم مع المعلمين ما يتضمن تفهمهم لها، ويمكنهم من العمل وفقاً لها.
- تنفيذ الدورات التدريبية التي يحتاجها المعلم لرفع مستوى أدائه، وتبصيره بالمستجدات الضرورية في حقله.

خامساً: كتاب الطفل:

إن القراءة مثلها مثل الكلام والمشي للطفل، فهو يتعلمها من والديه، فيقلدهما، ويسلك نهجهما، ويقتفي أثرهما، وكذلك الشأن في عملية القراءة والكتابة فإنهما ضرورة حياتية مهمة، ومن وظائف الأب والأم تعويد الأبناء عن طريق الاطلاع المستمر على الكتاب حتى يرى الطفل عمل والديه، فيفعل فعلهما، ويقرأ كما يقرآن، فيتصفح الكتاب، ويمارس الخط، ويحافظ على الكتاب، ويرتبط به، ويبرمج وقته تماماً كما يفعل والده، ويجب على الآباء والأمهات إحضار الكتب التي تناسب قدراته وميوله، وتسريب النماذج الهادفة والعلمية المجردة والقيم الخيرية والإصلاحية.

وعلى الأسرة أن تضرب المثل في القراءة بأحد الأبناء المعروفين لدى الطفل، وتسارع إلى زراعة المنافسة بينه وبين غيره، وأن تجعل من الكتب مادة لأحاديثه أمام أصدقائه.

وأول ما ظهر الكتاب الموجه للأطفال كان في أوروبا عام ١٦٥٨ م، ولكن لم يكن له رواجٌ، ويتجلى أمره في عام ١٧١٣ م حيث لاقت هذه الكتب رواجاً وإقبالاً شديداً، ويغلب عليها الطابع الإنساني الذي يميل إلى الإصلاح، ويجعلها هدفاً، فتميل إلى التعليم والوعظ والاقتباس من أدب الكبار، وظل الحال حتى برز عدد من الأدباء اختصوا بتأليف كتب خاصة بالطفل، واشتهروا بذلك، ومالوا بمضامينهم إلى الواقعية المستقاة من الحياة اليومية والاجتماعية.

وكان لمصر سابقة في الدول العربية من حيث إخراج كتاب الطفل، والاهتمام به، والتأليف الملائم للقدرات الطفولية، أما لبنان فإن دوره مميز حيث سهولة الطباعة ويسرها (نافسها مع سرعة توزيع الكتاب، ونشره في الدول العربية) [٣٨].

---

(٣٨) انظر: عالم الكتاب، مج ٣، ع ٢، شوال ١٤٠٢ هـ.



وقد نمت العناية بكتاب الطفل في جميع الدول العربية، وفي المملكة خاصة، حيث أولت الدولة رعايتها لهذا الموضوع، فأصدرت وزارة المعارف ـــ وزارة التربية والتعليم الحالية- عدداً منها، وكذلك الصحف، فخصت بعض الصحف صفحة للأطفال كما هو الحال في الجزيرة يوم الجمعة، وصدرت بعض الدوريات مثل الشبل، وبلغ الأمر أن اهتمت الجامعات بذلك، فقد أصدرت جامعة الإمام عدداً من الكتب التي تخص الطفل، وتساعده على نموه وتربيته. ومع ذلك، فنحن مازلنا في الخطوة الأولى وبداية الطريق.

أما الكتب الوافدة فهي كثيرة، وتزخر بالمعلومات التوضيحية غير أنها باهظة الثمن، وقليلة الانتشار، وغريبة عن المجتمع وطبائعه.

خصائص كتاب الطفل الناجح:

(١) أن يكون بلغة عربية فصيحة، فاللغة العربية قادرة على التكيف ضمن متطلبات الطفولة، حيت إن كثيراً من الالفاظ والكلمات الدارجة في المجتمع فصيحة، أو تحتاج إلى تعديل طفيف، وكذلك اللغة العربية الفصيحة، تزخر بالكلمات التي لا تكون نابية على سمع الطفل، أو بعيدة عن واقعيته وفهمه، وخير دليل على ذلك نجاح بعض الكتب، وتعلق الأطفال بالأناشيد الفصيحة.

(٢) الإيجاز مع الوضوح ومصاحبة للرسوم البارزة، والأفضل أن ألاّ تتعدد الرسوم في الصفحة الواحدة.

(٣) التركيز على الأمور الترفيهية التي تجذب الأطفال، وفي ثناياها تتسرب المعرفة.

(٤) الاتجاه إلى الواقعية، وقراءة المجتمع الماثل أمامهم.

(٥) الترغيب في المثالية عن طريق قصص الصالحين والعلماء والقادة.

(٦) الاهتمام بالتربية الإيمانية والأخلاقية والذوقية والجمالية.

(٧) غرس فضيلة العمل والإخلاص والارتباط بالأرض واستثمارها.

(٨) الخضوع للمنهج العلمي الابتكاري، والجد في معالجة القضايا والمشاكل.

(٩) عدم الاعتماد على الأسلوب التقريري، وإنما يلجأ المؤلف إلى إثارة العواطف عن طريق الرغبة في الشيء، أو النفور منه.

(١٠) لو اعتنى الكتاب بأدب الطفل وكوّن أدباً من مجتمعه، ومن حياته اليومية الواقعية والمشاهدة لكان في ذلك التقاء مع نفسية الطفل، فيجد قبولاً عنده.

(١١) أن يستعيد المؤلف الماضي المشرق النافع، فيصيغه بأسلوب معاصر في قوالب لغوية المتناول من حياة الأطفال اليومية.



سادساً: وسائل التعليم والإعلام:

إن نجاح عملية التعليم، ولا سيما لدى الطفولة يتوقف على إشراك أكبر عدد من قدرات الإنسان العقلية والحسية والحركية والنطقية، وتحتاج إلى مجموعة من وسائل التعليم حتى تهيمن على قدرات الطفل، وتفرض نفسها عليه، فتجذبه وتشوقه، وقد تمكن العلماء من اكتشاف كم هائل من وسائل التعليم المرئية والمسموعة، أو هما معاً، وقد تعرض بعض الدارسين لحصر فوائد الوسائل فذكر منها:

(١) تدعو الوسائل إلى تركيز الانتباه حيت يستدعي من المتلقي المشاركة بالرؤية والسمع والعقل، وبذلك تستحوذ على الطفل، ويظل متابعاً لها عن رغبة وشوق وإدراك.

(٢) توفر كثيراً من الوقت فهي متواجدة في البيت، فلا مواصلات، ولا انتقال، ولا كلفة مادية، ولا جلب صور أو رسوم، ولا استدعاء معلم، وإنما هي ضغط أو اختيار المناسب من الأفلام، وبذلك تضمن السرعة التعليمية بكثافة أكثر.

(٣) تثبيت عملية الإدراك بظهور الحيوان مثلاً مجسداً متحركاً كاملاً حتى يقتبس المتلقي ما بلغت انتباهه دون واسطة، أو شرح ربما يتذبذب بسببه الفكر لعدم الثبات في مفهوم الكلمات.

(٤) تنقل الأفكار والمهارات الفنية والمهنية عن طريق تصوير أفلام تمثل صناعة من الصناعات.

(٥) تسجيل الأمور الطارئة من براكين وكسوف ومد وجزر.

(٦) تصور أشياء كثيرة يصعب رؤيتها بالعين المجردة، مثل الدورة الدموية والميكروبات.

(٧) جلب العالم إلى غرفة الصف من أزمان سحيقة ومسافات بعيدة[٣٩].

والوسائل التعليمية بأنواعها متوفرة في البلاد بحمد الله، غير أنها يقلل من فائدتها عدم القدرة على استعمالها والوعي بأهميتها، والتكيف معها، إلى جانب نقص الأفلام المعدة باللغة العربية، والمضامين المناسبة للطفل ومجتمعه.

فالمجتمع السعودي لديه المقدرة المادية على شراء الفيديو، ولو استغل استغلالاً صحيحاً لأثر تأثيرا كبيراً في عملية التعليم، والأجدر بوزارة التربية والتعليم أن تكون قنوات متعددة لاستخراج الفيلم التعليمي بأعداد أفلام تمولها وتوزعها، والإيعاز إلى إدارة التعليم بتصوير الصالح من أنشطة الطلبة، مما يثري مكتبة الطفل الضوئية.

---

(٣٩) انظر الوسائل التعليمية، إعدادها وطرق استعمالها، تأليف بشير عبد الرحيم الكلوب، وسعود سعاده الجلاد.



ونقترح إيجاد شركات استثمارية خاضعة للمراقبة، وموجهة توجيهاً دينياً وفكرياً، ومشجعة بشراء أفلامها الناجحة حتى تحيي روح المنافسة، ومن ثم تكون الإجادة.

والأفلام لا تقتصر على المواد التعليمية، وإنما تحتوي على مواد تساعد على توجيه الأسرة والمجتمع في عملية تعليم الطفل، وهذا لو تخصص وزارة الإعلام قناة خاصة بتعليم الطفل، وتكثف بثها أثناء عطلة الصيف.

ومن هنا نستطيع القول: إن وسائل الإعلام هي التي توجه العالم، وتعمل في الأفراد والمجتمعات عمل السحر (إن من البيان لسحرا).

إن هذه الوسائل يجب أن تنمو وتتكامل، وتتنافس على ثلاثة مسارات متوازنة غير متعارضة، متآزرة ليست متنافرة، ولا متناحرة، موجهة توجيها دقيقاً صادرة عن خبرة وتجارب، تستلهم المتطلبات الإنسانية والاجتماعية، وتؤدي إلى الارتباط بالكون وتسخيره، وتتمثل هذه المسارات الإعلامية في:

(١) المستوى الاجتماعي من حيث توعيته وتوجيهه، والمشاركة المباشرة في عملية التعليم، وإصدار ما يلائم تعليم الطفل وإعداده للتنمية عن طريق القطاع الخاص.

(٢) استخدام وسائل الإعلام داخل المدارس، وتهيئة المكان والزمان والجو الواعي لكيفية التعامل مع الآلات، فيستوعبها الإداريون والمعلمون، وذلك في عملية تواصلية لكل جديد، ودراسة تنميتها وتطويرها وتكاملها في المدرسة.

(٣) المؤسسات التربوية، وتتمثل في وزارة التربية والتعليم، وشئون تعليم البنات، والجامعات، وما يتبعها من مراكز للخدمة الاجتماعية، ويجب أن يكثف الجهد لإخراج ما هو خاضع للبحث والدراسة الأكاديمية التي تصقل الأفكار وتنميها [٤٠].

سابعاً: جماعات تحفيظ القرآن الكريم:

إن تحفيظ القرآن الكريم وتلاوته تربية وتعليم فكري وإيماني يساعدان على تبلور الفصاحة اللسانية، عن طريق السماع والتلقين، فتصدر كلمات المعلم وأجراسه الصوتية ونغمها ونبرها على مسمع من الطفل، فيتأثر بها، ويحاكيها ويسير على نهجها. والتدريس في حلقات المساجد يضفي جواً جديداً على الطفل، ويبعده عن الروتين المدرسي، ويشرف عليه معلم ذو اختصاص بالقراءات، ويتسم بالصلاح والقدوة الحسنة، ويتيح مجالاً كبيراً للمنافسة الشريفة بين التلاميذ، مما يشحذ أفكارهم ويولدها ويفتقها.

---

(٤٠) انظر: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

غير أن جماعات تحفيظ القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية تولي اهتمامها للحفظ والاستظهار، وهذا أمر محبب للجميع، غير أننا نحتاج إلى المزيد من حيث وضع الحلقات، فتخصص حلقات للأطفال الصغار، يعلم فيها الطفل التلاوة، فيقرأ المعلم، ويتبعه التلميذ، حتى تنطلق ألسنتهم بالذكر الحكيم، ويبلور نطقهم ويعودهم على الفصاحة واستخراج الحروف إلى جانب إجادة تلاوة كتاب الله التي تمثل جانباً كبيراً من تعليم القراءة، فإذا ما أتقن الطفل كيفية القراءة في مستهل حياته ومراحل تعليمه فإنه يستطيع أن يحفظ القرآن الكريم مجوداً حسب سماعه من القراء المعلمين، ويساعده على القراءة في جميع مناحي الدراسة.

ولكي لا نثقل على جماعات تحفيظ القرآن فالأفضل أن يجتمع أهل الحي، ويختارون معلماً لأولادهم، ويستشيرون الجماعة فيمن يقوم بتدريس أولادهم، ويكون في المسجد حوله مجموعة صغيرة حتى تكتمل الفائدة، ويستطيع المدرس أن يستمع لكل منهم، ويوجهه، ولو انقسمت الحلقة إلى فرعين متتاليين لكي يتعلم المبتدئون التلاوة والتلقين، ثم يتبعهم من يمارس الاستظهار والحفظ بعد أن ينفض أصحاب الحلقة الأولى.

ثامناً: الملاحظة والمشاهدة:

إن الطفل يخرج إلى هذه الدنيا المتشابكة العناصر، المتداخلة المتلاحمة المتناسقة، والتي يعجز الفكر عن إدراك كنهها وجمالها، فهي مكتبة عامة شاملة مستديمة ملازمة للإنسانية، يقرؤها الإنسان قراءات متباينة ومتنامية، وصفحاتها دائماً مشرعة، ووسائلها واضحة؛ لذا كان لزاماً على كل أسرة أن تكيف طفلها على التزود من هذه المعارف عن طريق تكون الملاحظة العلمية لدى الطفل، والولوج في تفسير المشاهدات، وتحليلها، وسبر غورها، حتى الإنسان ذاته جزء فاعل في هذا الكون، فالتبصر فيه والتركيبة الاجتماعية، والأعمال الإنسانية والطبيعة والكون بأجمعه أمر لابد من وقوعه، وعلينا أن نهتدي الهدى الرباني في هذا الميدان حيث يقول جل شأنه " وفي أنفسكم أفلا تبصرون" سورة الذاريات: ٢١.ويدعونا إلى التفكير والتدبر والعقلانية في مخلوقاته الكونية، فنأخذ العبرة، ونستفيد العلم الذي يؤدي إلى الأيمان وعمارة الأرض.

وتعتبر الزيارات الميدانية، والرحلات العلمية، والأسفار الاستكشافية وسيلة كبيرة ناجحة في تنمية المعلومة لدى الطفل إذا ما وجد من يرغبه، ويعوده، ويمرنه، ويفتح عقليته على استيعاب المشاهدات، وتقصي حقائقها ووظائفها، واستلهام جمالها.

تاسعاً: المربي والمربية:

إن المجتمع السعودي بخاصة والخليجي بعامة تأثر تأثيراً كبيراً بعملية البناء التعليمي والعمراني والزراعي والصناعي، وانقلب الحال من البطالة المخيمة في الصحراء المترامية الأطراف إلى العمل المتواصل، وبناء المدن وتشييدها، فأخذ الناس يجرون وراء التكوين المادي والعلمي، وأصبحوا في شغل شاغل عن حياتهم الخاصة، وبالذات الأطفال، أضف إلى ذلك الثراء الذي عمّ المجتمع مما جعلهم يلجأون إلى الخدم، ثم أن نزول المرأة لميدان العمل ضيق عليها الخناق في العمل المنزلي، وتربية الأولاد، الأمر الذي جعل الأسرة تستعين بالمربيين والمربيات.

وكان الأجدر بنا أن نختار من يقوم بالتربية والتعليم، ويشرف عليهما من لديه القدرة العلمية من المصلحين الأتقياء، ومن أبناء المجتمع، بل من أفضله وأنزهه وخياره، لكن الأمر غير ذلك للأسباب نفسها، مما جعل الناس يلجأون إلى العمالة الخارجية، ويستقدمون المؤدب والمربي، كما يستقدمون العامل الفني والمهني، وكيف لمثل هؤلاء الذين لم يتعلموا، أو ربما فشلوا في التعليم أن يعلموا أولادنا؟ ثم إن لغتهم غير لغتنا، ومجتمعهم غير مجتمعنا، وأهدافهم غير أهدافنا، ومبادئهم تغاير مبادئنا.

عاشراً: الوسائل الترفيهية:

اللعب أمر حتمي للطفل، وهو المنطلق الحركي الأول، وربما الفكري، لأن تفكيره في كيفية اللعب ومع من؟ وبماذا؟ يدعو بتوالد الأفكار، وعن طريق الألعاب يمارس تجاربه، ويحتك بأصدقائه بالتعاون والمنافسة والمشادة أحياناً، وكل هذه لها دور في جلب المعلومات إن وجه التوجيه السليم، ومن خلالها وبواسطتها نعلمه، فنداخل بين الألعاب والمعلومات، فنكشف الألعاب الموجهة والمعدة من قبل مختصين قادرين على معرفة نفسية الطفل وميوله العامة.

وبناءً على ذلك فإن وجود الألعاب الترفيهية في المنزل أمر ضروري، ومن الأحسن تخصيص مكانٍ لها معروفٍ لدى الطفل، وتتنوع في كيفياتها وألوانها وأعمالها وأهدافها ومعلوماتها، وتتدرج من الأسهل إلى الأصعب، ويوجه توجيهاً خفيفاً في استعمالها والحفاظ عليها.

ونظراً للنهضة العمرانية والمدنية الشاملة التي عمت أرجاء البلاد فإن الدولة لم تغفل الطفل، بل أعطته الرعاية، وهيأت الأماكن التي تناسب ميوله، وتساعده على النمو التعليمي، فقد أوجدت الميادين الخاصة بالألعاب الترفيهية الموجهة، والحدائق بين الأحياء التي تستوعب عدداً من الأطفال، وكذلك حدائق كبيرة في

المدن تحتوي على وسائل ترفيهية للطفل، وعلى الشواطئ هيئت كثيراً من الألعاب، وقد أتاحت الفرصة للقطاع الخاص ليسهم بجهده، ويستثمر أمواله في تكوين مجمعات تشمل العديد من أنواع الألعاب.

ومن هذا الجهد لازلنا في حاجة إلى التوسع عن طريق مؤسسات متعددة تعمل على التوعية، وعلى إجادة الألعاب وتنويعها وتخفيض أثمانها لتكون في مقدرة ذوي الدخل المحدود.

مناهج
ونماذج في اللغة

مناهج ونماذج في اللغة:

الحياة تطبيق وممارسة، وكثير من العلوم وألوان المعرفة إنما هي نتائج الممارسة والتطبيق، فالبداية الأولى ممارسة فعلية، من خلالها اكتشف الإنسان كثيراً من ضروريات الحياة، ومنها الكلام الذي تتكرر ممارسته، ومنها النار، ومنها حفر القبور، فلولا ممارسة الغراب ما وارى هابيل قابيل ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[41].

وانطلقت الممارسة أولاً، ومن ثم تكونت التجارب والمعرفة، وبدأت ممارسة الحياة والتعامل مع الكون حتى تألق نور المعرفة، فلا علم إلا بممارسة سابقة، ما عدا الإلهيات الربانية المنزلة على الرسل في الكتب السماوية، أما حياة الشعوب كلها ممارسة، فإذا اختفت الممارسة لم تكن المعرفة والوعي بها كافياً، ونحن لو اقتصرنا على اللغة لوجدناها ممارسة، ولا تزال ممارسة حتى تختفي الأرض، وتكون الأرض غير الأرض، وحتى يخرج منها الإنسان لحياة جديدة، ولو نظرنا إلى اللغة العربية بالذات لوجدناها ممارسة شفوية عبر قرون متعددة، وبالممارسة تثقفت، وصقلت، وتطورت، وتوحدت في اللهجة القرشية، وخلقت الشعر والحكمة والخطب، وأضحت أعظم بلاغة في عالم اللغات، ونحن نسير في مواكبها حين تحولت إلى الكتابة، وتحولت إلى معارف تدرس، فنجد أن الممارسة سبيلها، أخذناها من أولئك الذين تعلموها عبر الممارسة القولية، وعلماء اللغة مارسوها بمحادثة الأعراب، وقد تنبؤوا بضرورة الممارسة حتى بعد التدوين، فكان منهجهم يقوم على حفظ القرآن الكريم بالسماع، وتعارفوا على حفظ المعلقات وكثير من الأشعار، وأضحت ممارسة السماع مذهباً للتلاميذ والطلاب؛ فكانت الكتاتيب تعتمد على سماع حفظ القرآن، ووضع مناهج أخرى للتدريس لتلقين المبتدئين مثل كثير من الكتب التي تضبط الحروف بالشكل، وقد كتبوا كتيبات صغيرة كأنها المنهج الضروري كرسالة البغدادية التي تعوّد اللسان على نطق كل حرف حسب ضبطه بالشكل، فأين منّا تجارب السابقين؟ فنحن لم نصنف التراكم العلمي، ونقتبس المفيد، ويكون مرتكزاً لنا.

---

(٤١) سورة المائدة، آية: ٣١.



أنواع القراءة:

القراءة تنقسم إلى قراءة جهرية وقراءة صامته، ونحن لو تأملنا في وظيفة كل واحدة لتمكنا من ترجيح أحدهما على الأخرى، فالقراءة الجهرية هي شعبة من شعب التقليد الضروري، وهي التي تميز الإنسان عن الحيوان، ومن ثم تكوَن الحيوان الناطق، والقراءة الجهرية هي الوسيلة الأولى للتفاهم مع الإنسان الناطق، وهي ضرورة الحياة، والقراءة الجهرية هي وسيلة تكوَن المعرفة الأولى، فالنطق هو الآخر يستقر في تكوين ذهنية المتلقي.

(ونقل المعنى يختلف باختلاف القارىء وقراءته، إذ يعطي بعض القراء من خلال قراءتهم المعاني حقها، لما يصاحب قراءتهم من تفاعل مع المقروء، وذلك بالتنعيم والتلوين وغيرهما من الصفات الثانوية التي تؤثر في المعنى، وتوجد التفاعل بين المستمع والنص المقروء، لأن للقراءة خصائص فنية تساعد على إبراز المعاني، ولأنها ((وسيلة وأداة توصل للتذوق الأدبي للكلام، عن طريق التعبيرات عن نوع الأسلوب من استفهام وإنكار وتقرير وتوبيخ وتعجب ونفي ودعاء ورجاء وزجر والتماس، وغير ذلك) (١).

والاستخدام اللغوي الصوتي الجهوري مع الالتزام بالفصحى يحمي من تفتيت اللغة، وتحويلها إلى لهجات، ونحن قبل أربعين سنة كان يصعب علينا أن نتفهم لهجات مناطقنا وقبائلنا، ولكن مع توحيد التعليم أصبحنا أكثر تقارباً، وتكاد تختفي اللهجات، وبناء الفصاحة عند الأطفال يعطيهم الثقة مبكراً، ويمدهم بالثروة اللغوية والمعنوية للحوار في أي ميدان لثقته بنفسه.

والاستخدام اللغوي الفصيح يبني الثروة اللغوية مبكراً، فكثير من الذين يعتمدون على اللهجات يضطر الأطفال إلى تعليم لغة المدرسة أو الأقران، والابتعاد عن لغة المنزل، فيبدأ بتكوين لغة جديدة، وهذا مما يعرقل مسيرة المعرفة، ويضعف التواصل مع الآخرين.

فالقراءة الجهرية والتداول الفصيح وشيوعها يؤدي كل ذلك إلى تصدير اللغة إلى الشعوب الأخرى، فالقراءة الجهرية ضرورة فردية ووطنية وتعليمية؛ فهي أهم رابط بين الشعوب

واللغة العربية لغة دين ولغة أمة ولغة قرآن عظيم، فهي أولى بالرعاية.

---

(١) القراءة الجهرية، الدكتور / سليمان العايد، ص ٨، بحث مخطوط



المـمارسة والتطبيق:

قامت نظرية التعليم في العالم العربي على نظرية تعلم المعرفة، وعلى نشر العلم ومحاربة الجهل، وقد جرى كثير من بناة التعليم ورجاله في ركابها، وهم معذورون، فإن المهمة الكبرى الأولى لهم هي إزاحة غياهب الجهل، أو لأنه مطبق على الشرق بنسبة ٩٠%، فكانت المعرفة مبنية على النظريات، وحتى العلوم التجريبية تدرس من أجل المعرفة لا من أجل التطبيق، فالتجارب فيها لا تتجاوز مرحلة المعرفة، والإحاطة بمعرفة النظرية وتطبيقها التجريبي، لكن ينقصها ممارسة التطبيق العملي، والإنجاز التقني من الطلاب والطالبات، وربما أن هيمنة مستشاري التعليم من الغرب إبّان الاستعمار كان لها دور كيدي مبطن.

وربما أن لغربة علماء التربية الفكرية والتربوية أثر في ذلك، فهم اهتموا بسطحية المناهج، ولم يهتموا بالتربية العملية، فلم نسمع كثيراً بالمناداة لإيجاد مدارس تجمع بين النظرية والتطبيق، فلم يكن هناك وسائل العملية اليدوية في بدائية المعرفة القابلة للتطبيق اليومي، فالذي يدرس الكهرباء يجب أن يمارس التركيبات السطحية ممارسة فعلية، والذي يدرس المواد الصحية يجب أن يفك ضرورياته الصحية في البيت من الذكور والإناث، والفتاة التي تدرس التدبير المنزلي يجب أن تمارسه مباشرة، ويفسح لها المجال، وليس أدل على ضعف التطبيق من حوانيت الخطوط والفنون والرسوم التي يدفع لها مبلغ من المال وتصنع اللوحات باسم طلابنا وطالباتنا، والأدهى من ذلك أنها تلقى قبولاً من المدرسة بل تشجيعاً، ونحن نقدمها للوزارة وللمعارض، وتلقى قبولاً وشكراً للمدارس، فهي عملية مضللة.

ونحن لو تأملنا الممارسة اللغوية الكونية لوجدناها تقوم على التقليد والممارسة، فالأولاد يأخذون عن آبائهم وأسرهم، ثم يتنقلون إلى مجتمعاتهم بحسب قدراتهم الفردية، فكل ما كثر مجتمعه، وتنقل كان أكثر ثروة لغوية، وأكثر صقلاً ودربة للسانه، وهكذا تكونت العربية، وهكذا تكونت اللهجة القرشية، ولما جاء دور علماء اللغة انشغلوا بالممارسة ومتابعة الأعراب في بواديهم وضبطهم، وهم يقولون من تعلم في الصحف كثر عنده التحريف، وهناك مؤلفات تكشف عن التحريف اللغوي، ودراستنا المعاصرة ألغت السماع والاحتذاء والاقتداء، واعتمدت على التصحيف ، ونجد أن سائر علماء الإسلام اعتمدوا على حفظ القرآن الكريم والأشعار حتى تكونت عندهم ملكة اللغة، ومن قل حفظه ضعفت فصاحته اللسانية.

ومسيرة التعليم في العصور الغابرة اعتمدت على الحفظ وتعليم القراءة والخط والإملاء في مراحلها الأولى، وهي خطة ناجحة افتقدناها في تعليمنا المعاصر بحجة أنك تفهم أفضل من أن تحفظ، ولكن لماذا لم





نجمع بينهما: تحفظ وتفهم؟ وإن غلب الحفظ فمن أجل ابتهال الفرصة في هذه المرحلة الزمنية التي تكون الحافظة والذاكرة أقبل للحفظ، وهم يقولون الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر، ولا يمنع التأمل والتدبر التدريجي، أو أية طريقة أو طرائق يتفق عليها جمع من التربويين.

والممارسة والتطبيق يقومان أولاً على تعليم النطق بالحروف نطقاً سليماً

وتعليم النطق بالحروف المضبوطة، فكل حرف يكرر نطقه حسب الضبط، ويمارس المبتدئ هذا النطق لكل حرف من الحروف.



منهج القراءة:

لقد كانت الثورة قوية على مناهج القراءة، والعناية بها استهلال بالنهضة، ولم يفصلوها عن عيوب المنهج التعليمي القديم، فهم دمروا الكتاتيب التي كانت أفضل طريقة لتعليم القراءة، وليتهم أخذوا الطريقة فحسب، وأبقوها، وهم دمروا القراءة بهجومهم على طريقة التعليم في الأزهر، وليتهم صنفوا الإيجابي منها كتعليم القراءة الجهرية، ونوافقهم على طمس السلبي منها، وهم دمروا اللغة بالمقولة الخاطئة: العبرة بالفهم لا بالحفظ، وليتهم جمعوا الأمرين معاً، فالعبرة بالفهم وبالحفظ معاً، وليتهم أدركوا المراحل الذهنية والقدرات العقلية، فالله منح الأطفال حافظة قوية من أجل إصلاح اللسان، وجمع الثروة اللغة، وهم قد أطفأوا تلك الشعلة وعطلوها فما أحوجنا لمنهج لتعليم اللغة الفصيحة من الاستهلال حتى النهاية وتكمن في:

- التزام الأسرة بالفصحى أو قريباً منها، وليس بالتقعر والغربة اللغوية.
- وضع منهج في رياض الأطفال لتعليم النطق والقراءة الجهرية، وتغليب هذا المنهج.
- وضع منهج للقراءة الجهرية في المراحل الابتدائية الأولى ويدرسه معلمون ممارسون للغة.

<u>وقد أشار الدكتور / سليمان العايد لملامح من كيفية القراءة الجهرية</u>

- تحقيق السلامة في النطق بتحقيق مخرج الحرف وصفته، والدقة في ذلك.
- أن تكون القراءة على سرعةٍ متزنةٍ يعطى فيها كل حرف ما يستحقه من الزمن.
- أن يكون الأداء معبراً عن المعنى، مختلفاً بحسب اختلاف المعاني.
- الفهم لما يقرؤه الطالب ليحقق الأداء المعبر إذ يستحيل الثاني بدون الأول، وقد أجمل د. محمود الناقة ما ينبغي جعله معايير تقويمية للقراءة الجهرية بثلاثة:
  - أن يتجنب الدارس التردد والقراءة كلمة كلمة.
  - أن يتسلسل نطقه وصوته تسلسلاً طبيعياً مع تركيب الجمل دون أخطاء صوتية.
  - أن يكون نبره وتنغيمه بحيث يميل إلى التعبير عن المعنى الموجود في النص المقروء، ولا يفقده تماماً (١).

---

(١) القراءة الجهرية، د. سليمان العايد، ص٨، بحث مخطوط

- وأن يكون العالم ممارساً للقراءة قادراً على كيفية مخارج الحروف والكلمات في الجمل، مدركاً أهمية الوقف ومواطنه في التراكيب؛ فالوقف عند المقاطع ضرورة لفهم المتلقي.

أهمية اللغة:

١) اللغة مقترنة بالإنسان وحياته الإنسانية والتفاعل مع الكون فالإنسان يخدم الإنسان، أما الحيوان فلا.

٢) اللغة مقترنة بالعقل، فهي وسيلة العقل وتكوينه وتنميته وتفعيله ونشاطه.

٣) هي ضرورة حتمية لتنمية التواصل وتوازن الحياة.

٤) هي وسيلة التلاقي والتواصل البشري.

٥) هي التاريخ وما حواه وما طواه.

٦) هي الأمن والأمان، وهي السلاح الفتاك، وهي لسان الرأي والحكمة.

٧) هي مظهر السلوك الإنساني والعقلاني والبرهاني والجنوني والشيطاني.

واللغة أيضاً وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه، وإلى تهيئته للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة؛ فبواسطتها يمتزج، ويختلط بالآخرين ويقوي علاقاته مع أعضاء أسرته وأفراد مجتمعه، وعن طريق هذا الاختلاط والامتزاج، وهذه العلاقات القوية يكتسب خبراته، وينمي قدراته ومهاراته اللازمة لتطوير حياته، ويزداد اكتسابه لهذه الخبرات والمهارات كلما نمت لغته، وتطورت، وزادت علاقاته بالآخرين قوة واتساعاً ونماء، وهذا ما يجعله أكثر وعياً وإدراكاً، وأكثر قابلية على الإبداع والإنتاج والمشاركة في تحقيق التطور الفكري، وهكذا بفضل اللغة تتصرف شؤون الفرد، ويتأكد وجوده وانتماؤه لمجموعته البشرية، وبفضلها أيضاً تنمو علاقات أعضاء الأمة، وتتطور حياتهم، وترتقي حضارتهم، وتسير دفة الأمور في المجتمع الإنساني عامة، حيث يكون الفرد نواة في مجتمعه، ومجتمعه حلقة في كيان المجتمع البشري (١).

إن المعضلة المعاصرة في وجه اللغة العربية هي عدم الممارسة النطقية استهلالاً بالطفولة والأسرة والمجتمع والمدرسة، إن تدريب اللسان الفردي على النطق يبني اللغة الأسرية، ثم المجتمعية، ثم المدرسية، وأن الذي ينقص عندنا عدم وجود النماذج التي تدفع بالعملية القراءية إلى الانطلاقة الأسرية؛ فنحن لم نوجد نماذج أسرية للأم ولا للأب ولا للمدرس، إن العملية في عالمنا انطباعية محضة، فكيف لنا بطرائق ووسائل منهجية

(١) د. أحمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة ٢١٢ ص٣٤



سهله ميسورة سريعة التقبل مبسطة تتسرب بيسر وسهوله؟ وهذه تعتمد على مؤسسات وطنية تربوية تقوم على التمويل وإيجاد الخبراء ونشر تلك النماذج في الحوانيت والأسواق والمكتبات والألعاب، إنها تقوم على وضع المال الأول الذي ينتج أعظم منه، وربما المال يعود إذا أقام الأمر على استثمار ناجح للعملية.

ومن المتطلبات إيجاد روح العزيمة في المجتمع، فالتحضير أمر ضروري في الانتماء للغة، واستشعار الأسرة أن القراءة الجهرية هي مكمن الترقي لأطفالهم، فالنطق السليم والمنطق المضموني هما مفتاح كل فرد في الكون بدءاً من الطفولة، ومروراً بالشباب والكهولة ونهاية بالشيخوخة، وأكثر المقابلات لا تتكرر، وكثير منهم يبني مستقبلاً أو يدمر مستقبلاً في أن تكون الثروة المضمونية المصاحبة بتكوين الثروة اللغوية، إنما هو تعليم مستمر من بداية الحياة إلى نهايتها، وإن العناية والرعاية والحرص على تعليم النطق والمنطق السليمين قد تناقصت بشكل كبير بين أبناء الأمة، بل عليها حربٌ هوجاء حملها أبناء الأمة أولاً بالسخرية من الاعتناء باللغة، والتهاون، وعدم المبالاة بالفصحى، والانتماء إلى العامية، وكذلك بالتشجيع على الألفاظ الأجنبية، والتباهي بها للأطفال وأمامهم.

الممارسة اللغوية في إطار الأسرة:

الأسرة في الزمن المعاصر انشغلت عن تربية الأبناء وترويضهم على سائر السلوكيات، وسلمتهم للعمالة المنزلية، والطفولة الانعزالية للأسرة، وأغفلت الممارسة اللسانية والتربية السلوكية والعملية، ولم يكن هذا فحسب، بل إن الأولاد والإناث في معزل عن محادثة كبار السن فلا يسمعون ممارسة اللغة، ولا هم يسمعون مضامين التجارب، وهذا يؤدي إلى ضعف الأداء اللغوي وضحالة المضمون الذي يحتاج اللفظ فينعدم اللفظ، وتنعدم أسبابه، ويظل الطفل ساعات طويلة على ألعاب صامته، أو صخب لا مضمون له ولا لفظ له.

والواقع أننا أمام مسؤولية كبرى أمام هذه القضية، فإذا حصرنا حديثنا على الجانب اللغوي فما هي الحلول التي قدمها رجال التربية؟

ما أكثر من حدد المشكلة، وما أكثر من نصح بمعالجتها، ولكن نقف عند هذا، فما هي الحلول؟ وما هي البرامج التربوية التي يسهل تطبيقها من كل أم وأب أو أسرة على مستويات الشرائح الاجتماعية.

لو تأملنا في التركيبة السلوكية التي يجب تنميتها للطفل لكانت منظومة من فلسفات شتى، ولكن يتناولها البشر بحسب تكويناتهم الذهنية، فمنهم من يستلهمها استلهاماً بدائياً بجمع شتات السلوكيات من



حوله، ويأخذ بما يرتضيه، ومنهم من يأخذها أخذاً انطباعياً يتصرف مع أطفاله حسب المواقف التي تميل إليها نفسه، وفيهم من يستوحي نوعاً من التربية المعرفية المقننة، بأخذ أشياء، وتغيب عنه أشياء، وهناك القلة التي تأخذها بمنهج علمي معرفي تجريبي. فكيف لنا ببرامج معدة أقيمت عليها التجارب لكي تكون نوعاً من المعرفة أمام أرباب الأسر يسهل استعمالها؟ فهي أولى وأكثر أهمية من برامج الطبخ التي تؤلف فيها مئات الكتب، وتباع بأسعار مرتفعة، ولا نجد برامج للتغذية التربوية واللغوية والمعرفية، إنها انحرافات الفكر أو الغفلة الفكرية التربوية.

إذن فالنداء الندي الشجي ندفعه للمربين لوضع برامج في كيفية الممارسة اللغوية، وكيفية الثروة اللغوية للأطفال في طفولتهم المبكرة، إنها الوصفات التي تشبه الوصفات الطبية، أو المدونات لوصف الأطعمة الغذائية ومن ذلك ما يأتي:

- فيجب أن يكون هناك منهج وعدة لوحات لكيفية تعليم النطق، وتكون تلك في متناول سائر الأسر.
- اللوحات ذات الكلمات المنتشرة في الأسواق الهدف منها تعليم المعرفة عن الحيوانات والأسماء، ولو صحبت بكيفية النطق وإدراك ضرورته لكان في ذلك تدريب.
- يجب تثقيف الأم والأب على كيفية التدريب اللغوي والممارسة.
- أن توضع برامج على شكل ألعاب في الحاسب الآلي، وأن تكون أعمال التقنية باللغة العربية.
- أن يعد للطفل برنامج قرآني لتعليم السور من قصار المفصل في البداية عن طريق السماع.
- أن تكون هناك مراكز في الأحياء أو في المساجد لبرامج التدريب اللغوي.
- أن تكون هناك برامج لحفظ الأشعار معدّة من قبل التربويين سهلة التذوق، وسلسة الحفظ، مدركة للمعاني.
- برنامج قراءة أسري ثابت يترك للطفل فيه الفرص للقراءة الجهرية على مسمع من أسرته.
- تتاح، بل يرغب، ويطلب منه تارة لو إلزامياً أن يصف المشاهد في الطبيعة، أو ما يطرأ على برامج التلفاز أو الإنترنت.
- ليس هناك تشدد في تطبيق تلك البرامج، إنما هي محاولات من الأمهات والآباء، ولو أخطاء الأطفال أو أخطأ الآباء في التدريب أو النطق إنما هي أمور تكاملية، فلا يفرض عليهم، أو يحس كل من الأسرة



بثقل التطبيق، وتلك مسؤولية التربويين لعلهم يوجدون نماذج منهجية تعين، وتقوم على توعية المربين ووضع البرامج أمامهم بيسر وسهولة.

التطبيق وأثره في اللغة:

١) الممارسة الصوتية المبكرة.
٢) ممارسة القراءة الجهرية في مرحلة الطفولة المبكرة.
٣) ممارسة القراءة الجهرية (القراءة للكتب المضبوطة وغير المضبوطة)
٤) الابتعاد عن القراءة الصامتة.
٥) ضرورة تعليم قراءة القرآن في مراحل الطفولة المختلفة.
٦) التركيز على القراءة في المراحل الأولى، وحفظ الأشعار.
٧) ضرورة التطبيق للدراسة النحوية.
٨) ممارسة الأنشطة اللامنهجية.
٩) إفساح القراءة في الشعر والحكم وغيرها للشباب وللمجتمع في المجالس بأساليب تلقائية لحضور الثقافة العربية، وتنمية المواهب الشعرية، وتدريب اللسان.
١٠) وضع وصفات أو مناهج من قبل خبراء، تكون مبسطة للتطبيق التربوي.
١١) ممارسة الكتابة بطرق ذات فعالية تحت إشراف الأسرة والمربين.
١٢) وضع وصفات كيفية تنمية مهارات الخط، ومهارة الإملاء ومهارة القراءة.



الخاتمة

لقد تحدثنا عن الثوابت التي تدفقت منها مكونات المجتمع السعودي، والتي تضرب في جذورها الأولى في العقيدة الإسلامية. وقد بسطت أروقتها على المجتمعات في الجزيرة العربية، غير أن الفكر والعقل لم يواكب التغيير في عصور امتدت عبر التاريخ، خاصة في الجزيرة، حيث غاب الحكم الشامل الذي ينشر الأمن والاستقرار والعلم والحضارة، مما أوجد خلافاً وجهلاً، الأمر الذي أوقف مسيرة التربية حتى جاء الملك عبد العزيز – رحمه الله – فتلاحمت المجتمعات، ونهضت من كبوتها، ونفضت الغبار العالق بها، وأخذت تنقح المجتمعات من الشوائب التي طرأت على بعض العبادات والمعاملات، وقد انطلقت جداول التعليم تتدفق عبر كل مدينة وقرية، وتنصب خيامها بصحبة البادية الرحل، الأمر الذي دفع بالبلاد إلى معانقة الحضارة، فكانت المعاصرة، وطرأت المتغيرات والمعايشة العصرية والتراكم الثقافي والصراع الفكري. فكان لابد للبلاد من مواكبة المستجدات والاستعداد المتنامي آخذة بالجد تنمية الطفل وتطويره، وتهيئته ليكون وسيلة التنمية الكبرى في هذه البلاد، فانطلقت الدولة تتحمل الأعباء، وتنير السبل، وتجلو الظلمات، وتنتشل الغرقاء، وتضع الخطط التعليمية التي تكفل الارتباط بالعقيدة الإسلامية. إلى جانب تهيئته للوظيفة العمرانية، والتوازن الإنساني مع ذاته ومجتمعه ودنياه، مع الكون بعناصره المتشابكة، كل ذلك يدعو إلى تربية مستمرة بعقلية منهجية متطورة ذات قدرة لتفحص كل طارئ، والأخذ بالصالح واستجلابه، وطرد كل فاسد والتحذير منه.

غير أن عملية تنمية الطفل في البلاد أمر عظيم الشأن لا تقع مسؤوليته على الدولة فحسب، وإنما يجب أن تتضافر الجهود حوله حتى نواصل المسيرة، ونؤدي الرسالة في قوة وثبات ووعي شامل تفرضه حتمية التطور والتصدي لإذابة المجتمع وقيمه الثابتة، وليس أمامنا إلا أن نتسلح بالتوجيه الرباني والمنهجية العقلية الواعية المتنامية القادرة على المتابعة والتوجيه والإرشاد حتى تعاضد الدولة، وتؤازرها. وقد بحثنا السبل الموصلة إليه حسب قدراتنا وجهدنا عندما تطرقنا لمصادر التعليم في المجتمع السعودي، وحاولت حصر المشكلات وإيجاد الحلول لها.. نسأل الله التوفيق لأبناء أمتنا والله الموفق.



فهرس





